

# الفكر الإستشراقي

دوافعه آثاره مواجهته والتصدي له

کھ الدکتور

سيد حسين فراج محمد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية

العدد السادس عشر للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

PT-17/798.

# بسم الله الرحمن الرحيم تصدير

«لولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتأييد الله، محفوظ بحفظه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشر في الأرض، التي ما تركت سبيلاً من المكر إلا سلكته، ولا سبيلاً لإطفاء نوره إلا أخذت به، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين» [من كلام العلامة: عبد الرحمن بن حبنكة الميداني في مقدمة كتابه «أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها»].

وكتب المستشرق البريطاني البروفيسور، «مونتجمري وات» مقالاً في جريدة «التايمز اللندنية» في (٣/٨/ ٣٦٨).

جاء فيه: «إذا وُجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإنه من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى».

واستطرد معبراً عن قلقه بتأكيد أحد زملائه، وهو المستشرق السير هاملتون حب» فقال:

«وكما نوَّه (السير هاملتون جب): فإن هناك احتمالاً من الحكمة للغرب ألا يقلل من شأنه، ألا وهو ظهور الإسلام من جديد وكقوة عالمية».

#### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خام الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

#### ويعد؛

فإن معاداة الإسلام والحرب على نبيه هم، وعلى المسلمين، ليست وليدة اليوم، وإنما هي حرب صحبت الإسلام منذ إشراق نوره قبل خمسة عشر قرناً من الزمان، فقد كان الإسلام ولا زال هدفاً لحملات الأعداء والحاقدين، وعندما أدرك هؤلاء أن القضاء على الإسلام في ميدان المواجهة العسكرية والحضارية يكاد يكون مستحيلاً، لجأوا إلى طرق أخرى، فكان التبشير وكان الاستشراق، وإذا كان التبشير يهدف إلى تحويل المسلمين عن دينهم بشكل سافر ومباشر، فإن الفكر الاستشراقي قد سلك طرقاً ملتوية يهدف من خلالها إلى تدمير وتشويه عقائد الإسلام من داخله، تحت دعوى العلم والنزاهة العلمية.

والمتتبع لعصور التاريخ الإسلامي في كل عصر ومصر، يجد من كثرة الحروب التي شنها أعداء الإسلام وحلفاؤهم، من ملحدين وزنادقة وصليبيين ومستشرقين، أن المفترض بداهة أن الإسلام قد زال منذ زمن طويل، وأن أهله ومعتنقيه قد بادوا مع البائدين، ولكنه ثبت وسلم أهله، وقويت جذوره، وبسقت فروعه، وظهرت نبالة تعاليمه ومتانة قواعده، ودارت الحضارات والمدنيات وذهبت، وبقي الإسلام كالطود المنيف، أو كالبحر الزاخر لا يضره شيء.

وهل يضر البحر أمسى زاخراً ... إن رمى فيه غلام بحجر

إن مما يلفت النظر: أن الإسلام ظل شامخاً طوال هذه الحقب الماضية، رغم مؤامرات الأعداء، ودسائس الصليبيين، وأفكار المستشرقين، وكل ذلك يشير إلى دلائل حفظ الله لهذا الدين وشريعته الغراء، مهما فكر الأعداء في غزوه، ومهما خطط المبشرون والمستشرقون لبث سمومهم وأفكارهم، فالله سبحانه حفظ هذا الدين وشريعته عن طريق إحكامها وإتقانها حتى لا يخالطها غيرها ولا يداخلها التحريف والتبديل، وصدق الحق الحق إنا نحن نزانا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر: ٩).



أما هؤلاء المستشرقون بأفكارهم الزائفة فإنهم لا يرعون لله حرمة، ولا يحفظون للشعوب التي يعيشون بين أهلها ذمة، بل تراهم يحيكون الموامرات والفتن ويثيرون العداوة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد، بهدف تشويه الإسلام والقضاء على الهوية الإسلامية.

إن هذا الفكر الاستشراقي في أكثر كتاباته وتصوراته عن الإسلام عادة ما يقوم بمحاولة تزييف صورة الإسلام والتخويف منه، والازدراء لرموزه ومقدساته، وزعزعة العقيدة في نفوس أبنائه.

وهذا عدا قلة من المستشرقين المعتدلين الذين أنصفوا الإسلام في بعض كتاباتهم، واتسمت أفكارهم بالحيدة والنزاهة، وسيعرض البحث لبيان فكرهم، وذكر المنصفين منهم، لكن الدراسة ستركز كما أسلفت القول، على هؤلاء الدين صنفوا فكرهم ودراساتهم، لخدمة المصالح الغربية، وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم وأفكارهم تقطر حقداً وعداوة وطعناً في الإسلام والمسلمين.

الأمر الذي يجعل من كشف هذا الفكر الاستشراقي والتصدي له، أمراً واجباً على علماء الأمة، والجهات المختصة في وقتنا الحاضر، وهذا ما دفعني لكتابة هذا البحث، فهو من الجهاد الفكري المعاصر لأمثال هؤلاء لتمييز الحق من الباطل، والصدق من الكذب، ولنشر الوعي الفكري والثقافي، لمواجهة هذه المخاطر والتحديات التي تواجه أمتنا من جراء هذا الفكر ومؤسساته في الغرب.

فهذا الوعي يمثل سلاحاً من أمضى الأسلحة، لمقاومة هذا الفكر الوافد، وكشف زيفه ومؤامراته.

ومنهجي في البحث هو المنهج التاريخي الندي يستند إلى النصوص، ويدعمه المنهج التحليلي، وجاء البحث بعنوان:

(الفكر الاستشراقي - دوافعه - آثاره - مواجهته والتصدي له) واقتضت طبيعته أن يأتي في مقدمة، وعشرة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فكانت كما سبق

المبحث الأول: التعريف بالاستشراق وبيان معناه.



المبحث الثاني: بداية الاستشراق وتطوره.

المبحث الثالث: ازدهار عصر الاستشراق واتجاهه نحو العداء للإسلام.

المبحث الرابع: دور اليهود في الحركة الاستشراقية

المبحث الخامس: مجالات أنشطة المستشرقين وأعمالهم.

المبحث السادس: منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام

المبحث السابع: نماذج من المستشرقين المعتدلين.

المبحث الثامن: دوافع الفكر الاستشراقي وأهدافه.

المبحث التاسع: آثار الفكر الاستشراقي على العالم الإسلامي.

المبحث العاشر: التصدى للفكر الاستشراقي ومواجهته.

الخاتمة: وفيها ملخص لأهم ماجاء في البحث من نتائج.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به القارئ والمطلع، وأن يكون لبنة متواضعة في الدفاع عن الإسلام والذب عنه. وصل اللهم على سيرنا محمر وعلى آله وصعبه وسلم.

د/ سيد حسين فراج محمد مدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

# المبحث الأول التعريف بالاستشراق وبيان معناه

#### أولاً: مفهوم الاستشراق في اللغة:

استشرق أي: أخذ في دراسة كل ما يتعلق بالشرق من علم ومعرفة ودين وتاريخ ولغة وحضارة، وشرَّقوا: ذهبوا إلى الشرق، أو أتوا الشرق، والاسم منها مستشرق، والجمع مستشرقون (١).

وعلى هذا فالاستشراق: هو علم الشرق أو دراسة العالم الشرقي.

#### ثانياً: مفهوم الاستشراق في الاصطلاح:

عُرف الاستشراق بتعاریف کثیرة، بناء علی اختلاف العلماء المتخصصون والدارسون فی تعریفه، ومن ذلك أنه (علم یدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم، وماضیهم وحاضرهم) (۲) .

وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي، فقد أطلق على الدراسة التي تعنى بالعالم الشرقي مصطلح الاستشراق، وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات، مستشرقين (وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءاً من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق الإسلامي) (").

وقيل إن الاستشراق: تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز، وخيرات وحضاراتهم وكل ما يتعلق بهم (٤).

<sup>(</sup>٤) في جولة مع المستشرقين، د/ عبد الخالق أبو رابية، ص١١، ط دار الشروق، ١٩٨٦م.



<sup>(</sup>١) لسان العرب، لابن منظور: ٤/٤٤/٤، ط الأولى، دار صادر بيروت.

<sup>(</sup>٢) ينظر: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د/ على حسني الخربوطلي، ص١١، ط دار الشروق ١٩٨١م.

<sup>(</sup>٣) راجع: الاستشراق والخلفية الفكرية، للصراع الحضاري د/ محمود حمدي زقزوق: ص١٨، ط دار المنار، الأولى ١٩٨٩م.

وبناء على ما ذُكر يمكن القول: إن الاستشراق أصبح اسماً واسعاً وعلماً خاصاً بذاته يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية المتنوعة، لخدمة أغراض وسياسات معينة.

والاستشراق في مثل هذا التصور يُقصد به: مجموعة الجهود التي بُذلت لدراسة الشرق وعلومه، بمعنى خضوعه للوصف والتحليل والمعالجة، ومن شم احتوائه ومحاولة السيطرة عليه، ورغم أن الفكر الاستشراقي ينبغي أن يُعنى بأمور الشرق خاصة إلا أنه في واقعه يعتني بدراسة الإسلام وأحوال المسلمين، وتحديداً بالمنطقة العربية لمعرفة كنوزها، ومناطق القوة فيها شم العمل على تحطيم كيانها، وتجزئتها، وتفتيت وحدتها.

وللدكتور/ محمود حمدي زقزوق: رأي وجيه في تعريف الاستشراق تجدر الإشارة إليه وهو: أن كلمة «مستشرق» بالمعنى العام تطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه، ووسطه، وأدناه، في لغاته، وآدابه، وحضارته، وأديانه، والذي يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الفكر الاستشراقي، الذي يُعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي، في لغاته وآدابه، وتاريخه، وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق (۱)

#### ثالثاً: من هم المستشرقون؟

المستشرق: هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية على الإطلاق، ويجب أن يكون عالماً متخصصاً في هذا المجال.

وعلى ذلك: فالمستشرقون: (هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم ونصائحهم ووصاياهم للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير والمبشرين، كما يقدمونها للدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف

<sup>(</sup>۱) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق، ص٢٤، ٢٥، طدار المنار – الأولى – ١٩٨٩م.



الاستعمار والمستعمرين، وكثير من هـؤلاء المستشـرقين يعملـون قساوسـة منتظمون في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمـات تبشـيرية، وآخرون منهم موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصة بشئون الاستعمار بصفة باحثين أو نحو ذلك، فكثير من هؤلاء المستشرقين لـم يكونـوا علماء بحق، وإنما كانوا سياسيين ينفذون رغبات الاستعمار الغربي) (١)

فالمستشرق «لويس ماسنيون، وهانوتو، وسانت هلير، ودوق دراكو، وغيرهم، كانوا أعضاء في المجالس النيابية في بلادهم، وكانوا مستشارين لوزارة الخارجية فيها.

وبالإجماع فالمستشرقون في جمهورهم لا يخلو أحدهم من كونه قسيساً، أو استعمارياً، أو يهودياً، وقد يشذ عن ذلك أفراد كما اندس في صفوف المستشرقين يهود كثيرون، يعملون في سر، وينافقون النصارى، ويخدمون سراً أهداف الاستعمار، وأهدافاً يهودية ضمن المخطط اليهودي العام، كما سيتضح للقارئ في ثنايا هذا البحث.

#### رابعاً: هدف الغربيين من إطلاق لفظ الاستشراق:

أشرت سلفاً إلى أن لفظة س يراد بها دراسة علم الشرق أو العالم الشرقي وأديانه، وخاصة الإسلام والمسلمين، وهدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين، مسلمين أو غير مسلمين، (أن يكون غطاء وتمويه للهدف الأساسي، الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراض التبشير من جهة، وأهداف الاستعمار الغربي من جهة أخرى، ثم لإعداد



<sup>(</sup>۱) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق، ص۲۲، ۲۰، ط دار المنار – الأولى – ۱۹۸۹م.

الدراسات والأفكار اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم كيان الأمة الإسلامية وتقسيمها وتفتيت وحدتها، ثم توسعت الدراسات الاستشراقية بعد توسع الاستعمار الغربي في الشرق، فتناولت دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضارته وجغرافيته وتقاليده، ولغاته وكل ما يتعلق به). (١)

وفي ضوء هذا يمكن القول: إنه لما كان من أهداف المستشرقين وفكرهم وجهودهم، هو تطويق العالم الإسلامي ووقف المد الإسلامي بين أبناء الشعوب الأخرى المتباعدة، فإن الاستشراق من خلال هذا الهدف المنشود لدى بعضهم يعني: اشتغال علماء الغرب بعلوم الشرق بوجه عام، والعمل على تشويه صورة الإسلام ونبيه بوجه خاص، حيث تضافرت جهود كل من المبشرين والمستشرقين – أعداء الإسلام – وعملوا في موقع واحد لمحاربة الإسلام، ولكن لكل وجهته، فكان هم المستشرقين دراسة الشرق ديناً، ولغة، وفكراً وحضارة تحت ستار العلم والبحث، ثم تأتي الدعوة إلى الديانة المسيحية ضمناً أو تصريحاً.

ومن ثم فالمستشرقون أسبق في دراستهم من المبشرين لأنهم بدأوا بعد الحروب الصليبية، «وكان هم المبشرين هو بث التعاليم المسيحية وتعريف الناس بالإنجيل، وهم أسبق من المبشرين وجوداً لا دراسة، والدراسة الاستشراقية ليست إلا وسيلة لما يريد المبشرون، وبرزت بينهم الفكرة التي يريدونها من ذلك الوقت – في التنصير – وهي أن جهل المبشرين بالدين الإسلامي هو الذي حال دون تنصير المسلمين، فبدأوا دراسته لإزالة هذا الحائل» (۱).

ومن هذا نرى: أن دراسة أكثر المستشرقين لعلوم الإسلام لم تكن خالصة للتوصل إلى معرفة حقائقه، بل كانت لبث الفكر الخاطئ أو المضلل عن الإسلام، بهدف النيل منه، والصد عنه، منقبة عن مواطن الضعف فيه، والتي يمكن النفاذ منها إليه أو الهجوم عليه منها.



<sup>(</sup>۱) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، د/ عبدالرحمن حبنكة الميداني، m au = 0.1 ط دار القلم، m au = 0.1 (۱) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، د/ عبدالرحمن حبنكة الميداني، m au = 0.1

إذ نفر جماعة من الغرب يدفعهم التعصب الصليبي إلى الكتابة عن الإسلام فأفقدهم هذا التعصب أمانة العلم وعمدوا إلى تشويه الإسلام فرددوا – على سبيل المثال – أن القرآن من وضع محمد، ونظروا إلى مصادر الإسلام على أنها من صنع البشر، واجتهدوا في تشويه عقيدة الإسلام، وحجب محاسنها عن الناس لصدهم عن الدخول فيه، وحتى ينفر منه أتباعه وبنوه، وكان سلاحهم في ذلك كله الفكرة، والكلمة، والرأي، والحيلة، والنظريات، وإثارة الشبهات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك من أساليب الفكر وأدواته، مما يقوم في عصرنا الحاضر، مقام السيف، أو الصاروخ، والدبابة، أو أشد الأسلحة الفتاكة.

# المبحث الثاني بداية الاستشراق وتطوره

لعله من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، ولا أحد على وجه التحديد يستطيع أن يعرف متى بدأ الاستشراق، نظراً لتباين آراء العلماء واختلاف وجهة نظرهم في هذا الصدد.

ومع ذلك: (فقد ذهب فريق من علماء الغرب إلى أن الاستشراق كانت بدايته في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي بعد دخول الصليبيين إلى القدس واحتلالها.

وهناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين، أي في القرن العاشر الميلادي حين قصد الراهب الفرنسي «جربردي أورالياك» (٩٣٨- ١٠٠٣م) الأندلس، وتتلمذ على يد أساتذتها في مدارس إشبيليه وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره في أوروبا، ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني "٩٩٩- ١٠٠٣م") (١).

وقد أثبت الأستاذ/ أسعد داغر أن الاستشراق نشا ( مند القرن العاشر الميلادي حين كان الشرق العربي الإسلامي موطن العلم، ومنتدى الآداب، وحين كانت مدن الأندلس وحواضرها الكبرى مأوى للثقافة، ومنابر للمعرفة بما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس يفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وسائر أنحاء أوروبا للدراسة والتحصيل، ثم ازدهرت حركة الاستشراق في القرن الثاني عشر الميلادي، حين انتشرت تلك المراكز العلمية في العالم الإسلامي، وبدأ الأوروبيون يتوافدون إليها ليتعلموا منها)(٢) وهو رأي وجيه، وحريّ بالقبول.

وعلى الرغم من أن الاستشراق - بناءً على ما سبق - يمتد بجذوره إلى ما يقرب من أكثر من ألف عام مضت، (فإن مفهوم «مستشرق» لم يظهر في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، فقد ظهر أولاً في انجلترا عام ١٧٧٩م،

<sup>(</sup>٢) راجع: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د/ أحمد سما بلوفتش، ص٥٥، إصدار الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٩٤م.



<sup>(</sup>١) المستشرقون للأستاذ/ نجيب العقيقي: ١/٠١، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

ثم في فرنسا في عـام ١٧٩٩م، وأدرج مفهـوم «الاستشـراق» فـي قـاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م) (١)

وكان الهدف من هذا النوع من الاستشراق هو (التبشير)، وإقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي.

(ومن العلماء من يرى: أن الاستشراق قد بدأ في الأندلس (أسبانيا) في القرن السابع الهجري حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين فدعا (الفونس) ملك قشتالة الراهب «ميشيل سكوت» ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم، فجمع «سكوت» طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة، وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة، ثم قدمها سكوت لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها، وبعث بها هدية إلى جامعة باريس.

ومع الزمن توسع الأوروبيون بالنقل والترجمة في مختلف الفنون والعلوم من إلهيات وطب وهندسة وفلك وغيرها، كما أنشأوا مطابع عربية لطبع عدد من الكتب التي كانت تدرس في المدارس والجامعات الأوروبية) (٢).

ولم يكن عمل المستشرقين منفصلاً عن عمل المبشرين ؛ بل كانت مهمة كل من الطائفتين مكملة للأخرى، وكان فشل الصليبيين في حملاتهم المتوالية على الشرق الإسلامي، دافعاً للمزيد من الاهتمام بالثقافة الإسلامية.

وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكرى إلى الغزو الفكرى، وهذه الوثيقة تتضمن وصية القديس «لويس

<sup>(</sup>٣) لويس التاسع أو القديس لويس التاسع (١٢٤١م- ١٢٧٠م) ملك فرنسا (١٢٢٦- ١٢٧٩م) ابن لويس الثامن وخليفته، قام بحملته الصليبية الثامنة على مصر، وهزم هزيمة منكرة على يد المصريين وقتل وغرق أكثر جيشه وأسر بدار ابن لقمان بالمنصورة عام ١٢٥٠م، ينظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب والأحزاب المعاصرة، د/ مانع حماد الجهني: ١٥٨٥، طدار الندوة، ١٤٢٠هـ.



<sup>(</sup>١) نقلًا عن الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري المدكتور حمدي زقزوق، ص٢٧.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق :٥٨٨.

التاسع»(۱) ملك فرنسا، وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة، ( ووقع «لويس» في أسر المصريين في مدينة المنصورة، وقد بذل لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق الثورة الحربية، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض، وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل المسلمين عن إسلامهم ودينهم الذي هو سر قوتهم عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد وتدفع المسلمين إلى الاستشهاد)(۱).

وقد سار الأوربيون في طريق تنفيذ وصية القديس لويس في تزييف العقيدة الإسلامية، وطمس ما فيها من قوة وصفاء وجهاد.

وهم يرون أن الخطر الأكبر: هو في وصول مفاهيم الإسلام الصحيحة إلى عالم الغرب نفسه، ومما يذكر أن المسلمين لما فتحوا مدينة القسطنطينية، هب رجال الكنيسة وقد هالهم الخطب العظيم، فأخذوا في الافتراء والتشنيع على الإسلام وتشويه أحكامه الإلهية العادلة وكان الدافع لهم في هذه الحملة، الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول في دين الله أفواجاً، ليصدوهم عن الإسلام الذي يبيح في نظرهم تعدد الزوجات والطلاق.

وجاءت الصهيونية: فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين في وحدة تقاوم اليهودية العالمية وتواجه دولة اليهود الناشئة (إسرائيل) ولذا نرى كثيراً من اليهود المستشرقين – كما سلف القول – يعملون في هذا المجال.

<sup>(</sup>٢) ينظر: مخططات الاستشراق والتبشير، أ/ أنور الجندي، ص٨٢٧، طدار النشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٦م.



وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية وغيرها، (كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى وبين الشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والسياسي، فقد كان الإسلام، كما يقول السادرن) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوروبا على المستويات كافة») (١)

وبذلك نرى أن هؤلاء المستشرقين لم يهتموا بالبحث عن الحقيقة، بقدر اهتمامهم بالانتقام والتشفى من هذا الدين الإسلامي والكيد له، فلقد أقبل أكثر الأوروبيين على الاستشراق من أجل الكيد للإسلام، وكنتيجة للتعصب ضد المسلمين والعرب، وكان هذا الاستشراق الذي يصور التعصب الديني، هو في الحقيقة صورة للعداء الراسخ الذي ساد العصور الوسطى بين الشرق الإسلامي، والغرب النصراني، وبات ذلك واضحاً من استمرار اهتمام هؤلاء بدراسة أحوالنا، والكتابة حول قضايانا، وعقد المؤتمرات والندوات، ونشر الأفكار المضللة، والكتب والدوريات حول الإسلام والعالم الإسلامي.

<sup>(</sup>١) ينظر: الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري: ص٢٨.



#### المبحث الثالث

### ازدهار عصر الاستشراق واتجاهه نحو العداء للإسلام

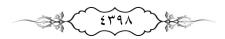
من المعروف أن كلا من الاستشراق والغزو الاستعماري قد أمضيا فترة طويلة من الزمن في العمل ضد الإسلام، ومع ظهور التحرر والاستقلال للبلاد الإسلامية والعربية من سيطرة الاستعمار الصليبي، حاول المستشرقون تطوير أساليبهم وأن تكون دراساتهم الاستشراقية دراسة تقوم على أسس علمية، وتتجه نحو أسلوب البحث العلمي.

#### اتجاه الاستشراق نحو البحث العلمى:

ففي مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وأواخر القرن الثامن عشر الميلادي، التجه المستشرقون إلى تغيير أساليبهم، وزعموا أنه لابد من تحرير الاستشراق من أغراض التبشير، والاتجاه نحو البحث العلمي، والدراسة البحتة «وأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن وباريس وبرلين وبطرسبرج وغيرها، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية، وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأزدية، وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشئون الإسلامية، مما يدل على التآزر بين الاستشراق والاستعمار في هذا الصدد، ثم أخذ الطلاب المسلمون بعد ذلك يؤمون الاستشراق والاستعمار في هذا الصدد، ثم أخذ الطلاب المسلمون بعد ذلك يؤمون المستشرقون في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين» (۱).

كما أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستعمار والتبشير النصراني، ومن هذه المؤسسات في مصر: المعهد الشرقي بدير الدومينيكان، والجامعة الأمريكية بالقاهرة والمعهد الفرنسي، ومعهد دار السلام، والجامعة الألمانية ...، وفي لبنان: جامعة القديس يوسف، والتي تعرف الآن بالجامعة اليسوعية، والجامعة الأمريكية ببيروت، وفي سوريا: مدارس اللايك والفرير، ودار السلام وغيرها، وهكذا في كل الأقطار

<sup>(</sup>١) أساليب الغزو الفكري: ص ٢١، د/ على جريشة، ومحمد شريف الزيبق، ط دار الاعتصام، القاهرة، <math>٩٧٨ م.



الإسلامية ... (وقد أغدق الغرب على هذه المؤسسات ودعمها، كما أغدق على المستشرقين العاملين فيها، وتقديم المنح والمعونات لهم، وكان هذا العصر "من القرن التاسع عشر والقرن العشرين" عصر ازدهار حقيقي للاستشراق وانتشاره، وازدياد نفوذه وقوة تأثيره، وخاصة في البلاد الإسلامية، وهكذا نرى أن الاستشراق قد عاش عصر ازدهاره في أواخر القرن التاسع عشر الميلاي، وتحديدا في النصف الثاني منه، وأيضاً في النصف الأول من القرن العشرين، وشهدت تلك الفترة جيل العمالقة من المستشرقين، أمثال جولدتسيهر، وكارل بيكر، وبارت، وهاملتون جب، وغيرهم، وقد ظهرت الآن أجيال جديدة تسير على الدرب نفسه، وتترسم خطى السابقين واتجاهاتهم) (۱).

و تهتم الحكومات الأوروبية في الغرب بدعم المستشرقين والحركة الاستشراقية في أوروبا، ولا تبخل عليها بالمال اللازم لاستمرار نشاطها وللإفادة منها حينما تدعوها الحاجة إلى ذلك .

فهناك إذن تعاون وارتباط وثيق بين مصالح الغرب واهتماماته، وبين دعم الحركة الاستشراقية، وهذا أمر يجعل استمرار الاستشراق متوقفاً على استمرار الاحم المالي الذي تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة في الغرب، وسيستمر هذا الدعم – في تقديري – ما دام يوجد للغرب مصالحه وأطماعه التي يتشبث بها في عالمنا العربي والإسلامي.

#### كتابات المستشرقين لم تلتزم الإنصاف:

ذكرت سلفاً أن الاستشراق في تطوره اتجه نحو البحث العلمي، وأن المستشرقين حاولوا في دراساتهم أن تقوم على أسس علمية، وأن تلتزم الحيدة والإنصاف، إلا أن الدارس لتاريخ الاستشراق يجد أن الكثير منهم لم يلتزم الإنصاف والحيدة تجاه الإسلام ودراسة علوم الإسلام، بل غلب على أكثرهم روح العصبية الصليبية، مما جعل في طليعة المستشرقين من يقوم بعملية الاستشراق والتبشير معاً، فأخذوا يطعنون في الإسلام، ويثيرون الشبه حوله، وجاء من بعدهم

<sup>(</sup>١) يراجع: الاستشراق والخلفية الفكرية، د/ محمود حمدي زقزوق: ص٦٧ بتصرف يسير.



من المستشرقين غير المبشرين، فسلكوا أيضاً مسلكهم ولم يلتزموا الإنصاف فيما كتبوا، ولم يطرقوا سبيل البحث الحر النزيه، بل حملت أفكارهم ودراساتهم روح العداء للإسلام، ويتضح ذلك بالآتى:

#### أولاً: إن الاستشراق يحمل الروح العدائية عادة في دراسته للإسلام:

إن أهم ما يؤخذ على الاستشراق، هو تمسكه بالروح العدائية والأفكار البالية في فهم الإسلام، فهذه الروح العدائية لا تزال مسيطرة على غالبية المستشرقين في دراساتهم حول الإسلام، وهي العقبة التي تجعل المسلم يقف من الاستشراق موقف الحذر المتشكك، بل موقف الرافض للاستشراق وأساليبه.

( فبالرغم من أن بعض المستشرقين قد حاول أن يكون استشراقه علمياً مجرداً، إلا أن النزعة التعصبية القديمة غلبت على أكثرهم، فبعدوا عن الصواب، وجافوا الحقيقة في دراساتهم للإسلام وأحوال المسلمين.

وكان الظن بهم أن يصحح المستشرقون من الأوروبيين، هذا الموقف ببحثهم ودراستهم العلمية، ولكن تبين أنهم من نفس البيئة التي كونت وشكلت الصليبيين والفكر الصليبي) (١).

ويعترف بهذا بعض المستشرقين أنفسهم.

يقول: (برنار لويس»: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية)(٢).

و يقول نورمان دانييل: (على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها الباحثون ي العصور الحديثة في المواقف التقليدية للكتاب النصارى من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً) (٣).

وقد تمثل هذا التعصب الديني والعداء للإسلام من جانب المستشرقين في أمور ثلاثة:

<sup>(</sup>٣) المرجع السابق نفسه.



<sup>(</sup>١) ينظر: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د/ على حسنى الخربوطلي، ص٤٣ بتصرف يسير.

<sup>(</sup>٢) نقلاً عن الاستشراق والخلفية الفكرية: ص٨٨.

- ١ محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية أو اليهودية، والمحاولات المستمرة للانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه .
- ٢ حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، وتحذيرهم من خطر
  الاستسلام لهذا الدين والدخول فيه.
- ٣- التبشير في البلاد الإسلامية، ومحاولة تنصير المسلمين وزعزعة العقيدة
  الإسلامية في نفوسهم.

ولا تزال الكثير من الكتابات الاستشراقية تعمل لهذا الغرض من وراء ستار، إذ إنه من الصعب على معظم المستشرقين النصارى – المشتغلين بدراسة الإسلام – أن ينسوا أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفندها: مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنه من الصعب عليهم أيضاً أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية وحل محلها.

ومع ذلك، فليس هذا حكماً على جميع المستشرقين فمن الإنصاف أن نقولك إن فريقاً منهم قد حاول الالتزام بالحيدة والموضوعية، وأنكر على كثير من زملائه نزواتهم التي انحرفت بهم عن النزاهة العلمية، وهناك من أنصف في جانب وتحامل في جانب آخر، ولكن الغالبية العظمى منهم – فيما أرى – لم تكن منصفة في دراستها للإسلام والمسلمين.

#### ثانياً: أن ظاهرة العداء للإسلام واضحة في فكر المستشرقين وكتاباتهم:

إن ظاهرة العداء للإسلام أمر واضح فيما يكتبه المستشرقون حول الإسلام، ومن ثم فلا عجب إن وجدنا التخوف عند استماع كلمة «استشراق» أو «مستشرق» وتفسيرها بتفسيرات سياسية استعمارية داخل المجتمعات الإسلامية والعربية، وذلك لعداوتهم للعالم الإسلامي والعربي، فالمستشرق الأمريكي... «روبرت بين» يقول في مقدمة كتابه «السيف المقدس»: (إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب، والتعرف على طريقتهم، فقد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد

يفعلوها مرة ثانية، إن النار التي أشعلها محمد لا تزال تشتعل بقوة، وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء) (١)

ويؤكد على هذا المستشرق الألماني «باول سمتز» حيث جاء في مقدمة كتابه «الإسلام قوة الغد العالمية» ما نصه: «و هذا الكتاب يوضح الخطر المتوهج الذي يمر عليه الإنسان في أوروبا بكل بساطة، فأصحاب الإيمان بالإسلام يقفون اليوم (١٩٣٦م) قبيل الحرب العالمية الثانية في جبهة موحدة معادية للغرب...، ويختم «باول» كتابه بهذه الصيحة العدائية والتحذير من الإسلام فيقول: «إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، ويدعوا إلى التجمع والتسائد الأوروبي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه، فهل من مجيب؟»

ويضيف «باول» قائلاً: «وهذا الكتاب هو نداء وتحذير يجب أن يلقى الاحترام الجدي من أجل مصالح الغرب وحدها»  $\binom{7}{}$ .

و مما يؤكد هذه الوجهة أيضاً ما قاله الفيلسوف «روجيه جارودي» لم يكن الاستشراق حركة نزيهة منذ البداية، إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية (٣).

و لعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن في مجال الكتابة عن الإسلام، هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، (ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم الفكرية لإصدار هذه الدائرة وملأوها بالأكاذيب والافتراءات على الإسلام وتاريخ الإسلام، وهي للأسف مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.

<sup>(</sup>٣) ينظر: المبشرون والمستشرقون، د/ محمد البهي، ص٣٧٦، ط دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.



<sup>(</sup>١) يراجع في ذلك : الإسلام والغزو الفكري، دراسة لمخططات المبشرين والمستشرقين، أ.د/فوزي عبد العظيم رسلان: ص٢٤٥، ٢٤٥.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق: ص٥٤٠.

كما اتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس أبناء المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية) (١).

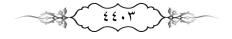
ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون في أفكارهم وكتاباتهم، من تحريف التاريخ الإسلامي، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي لعبه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية.

يقول الدكتور/ محمد البهي: (إن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك في هذا الجانب، والتفاوت – إن وجد بينهم – إنما هو في الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصباً ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر، ولكن يصدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه) (7).

وقد اعترف المستشرقون أنفسهم بهذه الحقيقة، ولـذا نـرى المستشرق الألماني «هانوتو» يقول: (وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي علـى البلاد الإسلامية: هو تشويه الدين الإسلامي، وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية ... مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها، وينحرف بها عن قيمها الأصلية) (٣).

ومن هذا يتضح: أن أكثر المستشرقين قد درسوا الإسلام بضمائر مغشوشة، ولم يكن عندهم أبداً نية التجرد للحق الإسلامي والإخلاص له، بل إنهم كان يعن عليهم أن يقولوا كلمة الحق، إن كان فيها ما ينصف الإسلام وتاريخه، أو يكشف حقيقة من حقائقه، وهذه طريقة سلبية لا تشرّف العلم، ولا البحث العلمي النزيه.

لاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د/ أحمد عبد الرحيم السايح، ص79، ط الدار المصرية للطباعة، 1994م.



<sup>(</sup>١) المبشرون والمستشرقون، د/ محمد البهي، ص٣٧٨.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق ص٣٧٩.

#### ثالثاً: النظر إلى الإسلام وتاريخه نظرة مشبوهة ومغرضة:

يتدخل المستشرق بآرائهم وشخصياتهم وأهوائهم الخاصة فيما يكتبونه عن الإسلام وتاريخ الإسلام، فيفسرون الحوادث التاريخية، ويناقشون النصوص التشريعية، ويحللون قضايا اللغة، وشخصيات الحضارة الإسلامية، كل ذلك يدرسونه ويكتبون عنه من وجهة نظرهم، ويطلون عليه من منظور خاطئ، مليء بالعداوة والكراهية لكل ما هو إسلامي، (فقد عرض مثلاً أحد المستشرقين المعاصرين وهو (جاستون فييت) في كتابه مجد الإسلام «تاريخ الإسلام» عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين والكتاب المعاصرين لكل فترة من فترات هذا التاريخ وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الكتاب ينضح بالحقد والطعن في الإسلام وتاريخه، لأن «جاستون فييت» اختار فقط النصوص التي تتفق مع الاتجاه الذي اختاره هو سلفاً، وهو اتجاه يتسم بالحقد والكراهية للإسلام والمسلمين) (۱). وهكذا فكثيراً ما يكون الدافع لهذه الدراسات هو الرغبة في التجريح، وتوهين العقيدة وتشويه الإسلام.

(وفي غالب الأحيان تعطينا كتاباتهم ودراساتهم صورة غريبة مشبوهة لحضارة شرقية، وتقدم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية، هذا مع أنه توفرت للمستشرقين من الإمكانات والعوامل المساعدة، ما لم يتوفر لأحد، خاصة عندما بسطت أوروبا نفوذها وسيطرتها الاستعمارية على مناطق العالم الإسلامي، وفتحت الأجواء فسيحة للمستشرقين والمبشرين، يتجولون في المنطقة بحرية تامة، ويعبثون بمصادر الثقافة فيها ومعالم الحضارة، بل ويستولون على كثير من المخطوطات الثمينة التي تشكل بمجموعها صرح المكتبة الإسلامية الكبرى، فينهبون المخطوطات وينقلونها إلى أوروبا) (٢)

وكان انتقال هذا التراث التاريخي إلى أيدي دوائر الاستشراق، واحداً من أخطر التحديات «لأنه أصبح حجة علينا لا لنا، وأصبح إحياؤه يجرى على النحو

<sup>(</sup>٢) ينظر: المرجع السابق: ص٣٧ .



<sup>(</sup>١) ينظر: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي: ص٣٦ بتصرف.

الذي يختاره الاستشراق، وحسب أهوائه، لا وفق إرادتنا الخاصة» (١)

ولذا أحيا المستشرقون أنواعاً معينة من الآداب والثقافات وأولوها اهتماماً كبيراً، منها على سبيل المثال «دراسات الحلاج، ودراسات عن السهروردي، وبشار بن برد، وأبي نواس، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وما يتصل بابن الراوندي، وإحياء الأغاني، وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم من شأنها أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل أو تزييفه» (٢).

ويخلط الاستشراق كثيراً بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور/ حمدي زقزوق فقال: «فإسلام الكتاب والسنة يعد في نظر بعض المستشرقين إسلاماً ميتاً أو رجعياً، أما الإسلام الحي الذي يجب الاهتمام به ودراسته، فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية، وهو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها عن الإسلام الأول» (")

ويؤكد الاستشراق – في كتاباته – بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام، كالبابية والبهائية والقاديانية، وغيرها من الفرق الضالة قديماً وحديثاً، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، ويسعى لإحياء الفكر المشبوه أياً كان مصدره، «فالمستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى، ودائماً يهتمون بكل غريب وشاذ» (1)

كما يزعم المستشرقون أن الإسلام دين يصلح لإشباع النزعات الدينية السطحية دون التعمق في تهذيب الروح والخلق، وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية، ويدعوا إلى الخمول والكسل، والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر.

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق: ص٤٠٠.



<sup>(</sup>١) الإسلام في وجه التغريب، أ/ أنور الجندي، ص٣٣٩، بتصرف، ط دار الاعتصام، القاهرة،

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق: ص٠٤٠.

<sup>(</sup>٣) الاستشراق والخلفية الفكرية، ص١٤٠.

وقد أدت هذه الأفكار الاستشراقية السامة التي يريدون دسها وإقتاع الشعوب الإسلامية بها، أدت إلى تثبيت هذه الاتهامات وتأكيدها والتوسع فيها، فالإسلام الذي يعرضه هؤلاء المستشرقين في كتبهم هو إسلامٌ من اختراعهم، وهو بالطبع ليس الإسلام الذي ندين به؛ لأنه يرتكز على أوهام وافتراءات من نسخ خيالهم.

وهكذا يتضح الحقد الدفين على الإسلام وإظهاره في صورة مشوهة حيث يفتقد المرء الموضوعية والإنصاف في كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامي وتاريخه، فالإسلام فقط من بين كل الديانات هو الذي يهاجم، والمسلمون فقط هم الذين يوصفون بشتى الأوصاف الدنيئة، والتي تعتمد على تزييف الحقائق، ولخلط بين الحق والباطل، وغير ذلك من الافتراءات التي ليس لها في مجال العلم نصيب، وذلك لأنهم درسوا الإسلام، وفي أذهانهم فكرة أساسية، مسبقة هي: أن الإسلام دين باطل، لابد من هدمه، والقضاء عليه.

## المبحث الرابع إسهام اليهود في الحركة الاستشراقية

أشرت فيما سبق إلى أنه قد اندس في صفوف المستشرقين بعض اليهود الذين عملوا في الاستشراق، وكانوا يخدمون سراً أهدافاً استعمارية، وأخرى يهودية، وسوف نتناول هنا جانباً من الدور الذي قام به اليهود في إطار الحركة الاستشراقية، ومدى إسهامهم في هذا المجال، ويتضح ذلك بالآتي:

أولاً: (ظل اليهود طوال تاريخهم العتيد، يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً ينفثون منه سلمومهم ضد الإسلام والمسلمين فدخلوا هذا المجال، مستخفين تحت رداء العلم، وبوصفهم الأوروبي لا اليهودي، كما وجدوا في الصهيونية باباً آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين) (۱).

ثانياً: لم يدخل اليهود في الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود، حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا: أولاً: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

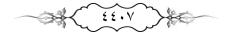
وكسبوا ثانياً: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي – كما هو معروف – مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى.

"وقد أشار الدكتور/ محمد البهي - رحمه الله تعالى - إلى ملاحظة لبعض الباحثين حول تفسير أسباب إقبال اليهود على الاستشراق، وتتلخص هذه الملاحظة في أنهم أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وسياسية.

أما الأسباب الدينية فإنها تتمثل في محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فيه، وذلك بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول.

أما الأسباب السياسية: فإنها تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً؛ ثـم دولـة ثانياً»  $^{(7)}$ 

<sup>(</sup>٢) ينظر : المرجع السابق ص ٦١.



<sup>(</sup>١) راجع: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٥٠، ٦١.

يتضح من كلام المرحوم الدكتور/ البهي أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق للكيد للإسلام، والتشكيك في قيمه، وإثبات فضل اليهود على الإسلام، ولأسباب سياسية تتعلق بخدمة مخططات اليهود والتمكين لهم في فلسطين عن طريق تشويه التاريخ العام، ولا يغيب عن بالنا أن اليهود هم الذين طرحوا على انجلترا فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، في موتمر لندن المنعقد عام ١٩٠٧م.

ثالثًا: حاول (الاستشراق اليهودي دوماً تشويه الإسلام ورسالته، وافتراء الأكاذيب على النبي محمد الله وهو ما اتجه إليه المستشرق اليهودي «جولدتسيهر» وأمثاله من المستشرقين اليهود.

وقد استطاع «جولدتسيهر» – وهو يهودي مجري – أن يصبح – في عصره -زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع ولا تزال كتبه حتى اليوم تحظى بالتقدير والاحترام الفائق من كل فئات المستشرقين) (1).

ولقد أضاف هذا المستشرق إلى الاستشراق اليهودي العديد من الشبهات، والتي ردها وكشف فسادها الباحثون والكتّاب المسلمون، ومن هذه الشبهات:

- ١- القول ببشرية القرآن، وأنه من صنع محمد في وليس وحياً إلهياً، وتباين وإختلاف آياته المكية والمدنية.
- ۲- الادعاء بأن النبي كانت تنتابه النوبة العصبية بدليل ماكان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحى.
- الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني والشرعية الإسلامية مأخوذة من القوانين الرومانية.
  - ٤ أن استقبال الرسول عليها لبيت المقدس في الصلاة كان استرضاءًا لليهود.
    - ٥- الحديث النبوى ما هو إلا صناعة الصحابة والتابعين وأقوالهم.
- ٦- أن قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم مفتعلة، وأنها نزلت في المدينة إرضاء لليهود.

<sup>(</sup>١) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية ص٦٢.



- ٧- إن الإسلام ليس دعوة عالمية، وأنه خاص بالجزيرة العربية فقط .
  - ٨- انتشار الإسلام بالسيف.
- 9- إن الجيوش الإسلامية التي انطلقت للفتوحات، لم يخرجها إلا الجوع والقحط بالجزيرة العربية .
  - ١٠- أن الرسول على تزوج من السيدة خديجة طمعاً في مالها وثروتها.
  - ١١- أن الإسلام كان خليطاً من الفكر اليهودي والنصراني وأنه مقتبس منهما.

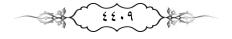
ولا شك أن هذه الشبهات محض افتراء، ولا تصمد أمام النقد الصحيح، والبحث الحر، فهي ليست بالجديدة، وليس لها في ميزان الحق نصيب.

رابعاً: من مغالطات الاستشراق اليهودى أيضا حول الإسلام، ما زعمة "يوسف شاخت"، وهو تلميذ لجولد تسيهر وكلاهما مستشرق يهودى، حيث حاول الغض من شأن الشريعة الإسلامية كما زعم بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية، وكلها مزاعم باطلة، وقد تصدى لها الكثير من الباحثين.

"ومن أكاذيب شاخت وأضاليله: الإدعاء بأن للفكر الإغريقى فضلا على الفكر الإسلامى، وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل (سيديو، وداربر، وسارطون) وغيرهم أن الإسلام هو الذى أدخل إلى الغرب المنهج العلمي التجريبي، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينة للمسلمين بهذا المنهج الذى هو أساس الحضارة الإسلامية" (۱).

خامساً: لقد عمل كل من التبشير والاستعمار على الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، "وانضم إليهما في ذلك الاستشراق اليهودي، والصهيونية العالمية، التي كانت تهدف من سيطرتها على الاستشراق الحيلولة دون تجمع العرب والمسلمين في وحدة واحدة تقاوم الصهيونية العالمية، وتقف في طريق أطماعها" (٢).

<sup>(</sup>٢) انظر: الإسلام في وجه التغريب، ص٣٦٦.



<sup>(</sup>١) أساليب الغزوالغكرى للعالم الإسلامي، ص٢٧.

وقد كان الارتباط الجذرى وثيقاً بين التبشير والاستشراق اليهودى أخذا وعطاء، (واستخدم الاستشراق اليهودى نفس أساليب التبشير والاستشراق بصفة عامة، مثل تأليف الكتب، والمقالات في المجلات العلمية، وكراسي التدريس في الجامعة، والمنافسة في المؤتمرات العلمية العامة، وإلقاء المحاضرات، وعقد الندوات... إلى غير ذلك.

والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة، وهي العقلية الشعبية من البسطاع) (١).

سادساً: وأخيراً وليس آخراً: فإن العديد من المستشرفين وخاصة اليهود منهم، فد تعرفوا على تاريخ الإسلام والعرب، والتراث الإسلامي، وولعوا به ودرسوه، لا حباً فيه، ولا رغبة في فهمه، ولكن لتكون دراساتهم عوناً يمهد للاستعمار والتبشير، ولتحقيق أطماعهم التوسعية في إقامة دولة يهودية، ولذا جاءت بعض بحوثهم ودراساتهم تعزز من شأن التراث اليهودي والعبري، وتوهن من شأن التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، وكان في مقدمة من فعل ذلك العديد من أعلام الاستشراق ومشاهيره الأوائل من اليهود، ولعل في مقدمتهم "جولدتسهير، ويوسف شاخت"، كما وضح ذلك للقارئ فيما سبق بيانه.

وبهذا يتبين الدور الذي لعبه اليهود في مجال الاستشراق ومدى إسهامهم فيه، لتحقيق مآربهم الخاصة وخدمة أهدافهم الصهيونية، الأمر الذي يؤكد على كراهيتهم للإسلام، شأنهم شأن غيرهم من الأعداء، وصدق الحق إذ يقول: {لَتَجِدَنَّ أَشُدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرُكُواْ} (٢)

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة الآية رقم ٨٢.



<sup>(</sup>١) الإسلام في وجه التغريب ص ٣٦٧

# المبحث الخامس مجالات أنشطة المستشرقين وأعمالهم

القارئ لفكر المستشرقين وأعمالهم ومجال أنشطتهم يجد أنهم تخصصوا في الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا، وقد تفرغ منهم مجموعات متعددة لأداء المهمات الاستشراقية، في كل مجال من المجالات التالية:

- ١- إنشاء كراسي الدراسات الإسلامية العربية والشرقية بوجه عام، في الجامعات الغربية، واتخاذها بؤرة لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية، والتأثير عليهم فكرياً وسلوكياً ونفسياً.
- ٢- تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامية خاصة، وبلدان الشرق عامة، لتخريج المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة، ولكل ما يُلقى إليها من أفكار ومبادئ مثل: كلية بغداد بالعراق، والجامعة الأمريكية في مصر وبيروت.
- ٣- إنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والشرقية بصفة خاصة، التي تتناول الشرق الإسلامي من جميع جوانبه المعرفية، واتخاذها وسيلة لبث الأفكار الاستشراقية السامة التي يريدون دسها، وإقناع أجيال الشعوب الإسلامية بها، ومن ذلك إنشاء موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" وقد أصدرها المستشرقون بعدة لغات، وملؤها بالأباطيل عن الإسلام وعلومه وتاريخه، كما أن هناك "الأطلس" الجغرافي التاريخي للشرقين الأدنى والأوسط، "وقاموس المنجد" وبه ما يقرب من أربعمائة خطأ تاريخي وعلمي، و"الموسوعة العربية الميسرة" وهي تعرض المعلومات الإسلامية بصورة سقيمة وفاترة.

وهناك الموسوعات العامة: كالموسوعة الفرنسية (لاروس)، والموسوعة البريطانية، وتكمن خطورة هذه المؤلفات في ترويج المستشرقين لها، وجعلها من المصادر الأساسية لمن يكتب عن الإسلام.

عقد المؤتمرات الاستشراقية، لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق، فقد اتخذ المستشرقون من عقد المؤتمرات التي تبحث شيئون الشيرق ونظمه وبلاده، وسيلة لإحكام مخططاتهم، وتحقيق أهدافهم، فهذه المؤتمرات – كما



يقول الدكتور: "كوليزيوغ" – في تقديمه لأعمال الموتمر الاستشراقي الأول<sup>(۱)</sup> (تعتبر مرآة تنطبع عليها القيم الروحية والثقافية للشعوب بأحلى صورها، ولن يجد الغربي ذو العينين الباحثة الفاحصة، طريقاً لفهم الظروف الاجتماعية في بلاد الشرق الأدنى الإسلامية، وتروق ثقافتها خيراً من المعرفة الشاملة العميقة للإسلام، وأضاف: (إننا اليوم على وشك الدخول في عصر عظيم الخطر من عصور التفاعل بين الشرق والغرب) (۱).

- كما كان هناك إلقاء المحاضرات، واللقاءات الفكرية والثقافية، وكلها وسائل لإذاعة آرائهم، ونشر أفكارهم في قضايا متعددة تتعلق بالكيان الإسلامي، وتهدف إلى إضعاف هذا الكيان، وسبل السيطرة عليه.
- ه نشر المقالات في المجلات والصحف المحلية للبلاد الإسلامية، لبث أفكارهم عن طريقها، والترويج لها بين المسلمين، وكان لهم كتّاب وأساتذة جامعيين، وأدباء وشعراء مستأجرين، يحملون أفكارهم وآراءهم، ليكونوا أكثر تاثيراً في الأجيال الناشئة.
- 7- إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.
- ٧- تحقيق التراث العربي والإسلامي، وجمع المخطوطات: حيث قام العديد من المستشرقين ومنذ عهد مبكر بتحقيق ونشر المصادر العربية الإسلامية الأصيلة، مدفوعين بدوافع عديدة بعضها علمية موضوعية، وبعضها دينية وتبشيرية أو سياسية، ومن أجل تحقيق الأهداف المرسومة لهم للوصول لأغراضهم. وقد عرفنا الكثير من كتب التراث محققاً ومطبوعاً على أيديهم " (٣).

<sup>(</sup>٣) لمزيد من التوضيح حول نشاط المستشرقين في هذا المجال، يُراجع كتاب: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د/ فاروق عمر فوزي، ص٣٨ وما بعدها، طبيروت، الأولى، ١٩٩٨، فلم أشأ التوسع لضيق نطاق البحث.



<sup>(</sup>١) هذا المؤتمر عقد بعد الحرب العالمية الثانية في جامعة برنتون بأمريكا في مارس ١٩٤٧م، لدراسة الشئون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنى، يراجع: الإسلام والحضارة الغربية، د/ محمد حسين: ص٧٠١، ط دار الفرقان، بدون.

<sup>(</sup>٢) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية ص ١٠٦.

كما قاموا أيضاً بجمع عدد من المخطوطات النادرة وفهرستها، (و كان هذا العمل مبنياً على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم، ولم يقف المستشرقون عند جمعهم للتراث وصيانتهم لله، بل بادروا إلى فهرسته، فهرسة علمية دقيقة) (١).

والحق أن الباحثين المسلمين استفادوا من هذه المخطوطات المحققة والمنشورة، وخاصة تلك المخطوطات المحققة تحقيقاً علمياً دقيقاً، والتي تشمل عدداً كبيراً ومهماً من المصادر التاريخية العربية الأصيلة.

٨- ووجه المستشرقون عناية خاصة لإفساد المرأة المسلمة، عن طريق دعـوات تحريرها، وانطلاقها للعمل في شتى المجالات دون قيد أو رابط، وإعطائها - بحسب دعواهم المضللة - كامل حريتها وكامل حقوقها.

كما أثاروا الشبهات حول أحكام الإسلام الخاصة بشأن المرأة، وتفننوا في ذكر العديد من المفتريات ٠

وتبع المستشرقين في ذلك غير المسلمين من مواطني البلاد الإسلامية، ومعهم نفر غير قليل من المتغربين والعلمانيين، والأجراء من أبناء المسلمين.

وبخلاف ما سبق، فقد اتخذ المستشرقون وسائل عدة لتحقيق أغراضهم، في كل مجال من المجالات السابقة، ولم يتركوا وسيلة من الوسائل لنشر أفكارهم وبث آرائهم حول الإسلام وعلومه إلا سلكوها) (٢).

وبطبيعة الحال، فقد عملوا من خلال هذه الوسائل على الوصول لأهدافهم، وإدراك غاياتهم المنشودة، ومن هذه الوسائل: التدريس في الجامعات، والتأليف، والتحقيق والنشر والترجمة، والاتصال بدول الشرق الإسلامي، وتبادل الزيارات. بالإضافة إلى الاشتراك في المجامع اللغوية والعلمية في العالم الإسلامي، فقد اشترك أخطر المستشرقين أمثال: (جب، وماسينيون، ونيكلسون، ومرجليوت) في

<sup>(</sup>٢) لمزيد من الإيضاح في ذلك، يراجع: الإسلام والمستشرقون، للشيخ أبو الحسن الندوي: ص٢٢، من مجلة المنهل، العدد ٤٧١.



<sup>(</sup>۱) دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، د/ سامي الصغار: ص٥٦، مجلة المنهل، عدد ٤٧٣.

المجمع اللغوي بمصر، وكذلك المجمع العلمي بدمشق الذي كان يجمع أمثال: (وجويدي الإيطالي، صبرو الفرنسي، ونالينو الإيطالي، وهارتمان الألماني)، وهم يعملون في هذه المجامع وفق مخطط مدروس، للحط من قيمة الفكر الإسلامي.

ولكن أخطر وسائلهم على الإطلاق كانت هي التأليف، حيث ألفوا كثيراً من الكتب التي تطعن في الإسلام، وتشوه محاسنه، ومنها – على سبيل المثال-كتاب: (حياة محمد) للسير وليم مور، و(الإسلام) تأليف ألفردجيوم، وكتاب بعنوان (الإسلام) لهنري لامنس، و(دعوة المأذنة) تأليف كينيت كراج، و(ترجمة القرآن) لآبرئ، و(الإسلام) لصموئيل زويمر، و(مصادر الإسلام) لتسدل).

كما قاموا بنشر عدد كبير من أمهات كتب التراث الإسلامي، في السيرة والتاريخ، وعلوم القرآن، والتراجم، والملل والنحل، والتفسير واللغة، وفي أكثرها التحريف والتبديل وتغيير النصوص للوصول إلى غاياتهم) (١).

وسوف ألقى الضوء سريعاً على أخطر الكتب التي بثها المستشرقون ومنها:

وهو معجم ألفه المستشرقون لخدمة أغراضهم، حيث إنهم لم يتركوا شيئاً من عقائد الإسلام، ولا شرائعه، إلا وشوهوه، وما لم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة عادية لا مزية فيها.

(والمطلع على هذه الدائرة يجد الكثير من العيوب العلمية والتاريخية المفروضة وبالإجماع فإن هذه الدائرة لا تصلح مصدراً لانتقاء المعلومات عن الإسلام، لا من المسلمين، ولا من غيرهم) (٢).

#### ٢- قاموس المنجد:

وهو طافح بالتعصب والحق على الإسلام، وبه الكثير من الأخطاء العلمية والتاريخية.

<sup>(</sup>٢) يراجع: "الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د/ أحمد السايح، ص٥٥.



<sup>(</sup>١) سبقت الإشارة إلى بعض هذه الكتب، عند الحديث عن نشاط المستشرقين في إنشاء الموسوعات العلمية.

#### ٣- الموسوعة العربية الميسرة:

وهي تعرض لحقائق الإسلام بصورة مشوهة، بالإضافة إلى محاولة تشويه التاريخ بهدف خدمة المخططات الصهيونية، حيث تعبر عن وجهة نظر اليهود في كثير من المسائل، وكذلك يوجد كتاب: (يقظة العرب) الذي ألفه جورج أنطينوس، وكتاب (شمال المصريين) الذي وضعه إدوارد وليم... إلخ.

وقد نبه الكثير من الدارسين والباحثين المسلمين إلى خطورة هذه الكتب، التي تروج لها دوماً أدوات المستشرقين".

ومن أسف أننا نجد هذه الكتب في الكثير من المكتبات العامة، وفي المعاهد والمؤسسات العلمية، وهذا مكمن الخطر، لأن هذه الكتب المسمومة، إن لم يكن قارئها واعياً بخطورتها فسوف تتشكل مفاهيمه بصورة معارضة لحقائق الإسلام.

وجملة القول: فإن من أخطر الوسائل الفكرية التي استخدمها المستشرقون لتشويه الإسلام وتمزيق الأمة الإسلامية – من خلل الكتب وغيرها – بشهم وترويجهم للأفكار التالية:

- أ- التشكيك في مصادر الدين الإسلامي وصحة نبوة الرسول ك .
  - ب- إلقاء الشبهات حول أحكام الإسلام التشريعية ومصادرها.
- ج- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، لتظل الأمة الإسلامية عالمة على التراث الغربي.
- د- التنفير من الجهاد في الإسلام وتشويهه، وتصويره بغير حقيقته، ووصف المسلمين بالتعصب، وأن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف.
- هـ التشكيك في قيمة التراث الحضاري للأمة الإسلامية، إذ ادعوا أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة اليونان والرومان، وأن المسلمين مجرد نقلة لفاسفة تلك الحضارات.

والهدف من ذلك واضح، وهو إضعاف ثقة المسلمين في تراثهم وقيمه.

وقد تطورت الوسائل والأساليب الاستشراقية، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة، من خلال مراكز البحوث والدراسات المتعددة، سراء أكانت



مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية، وما يوضع تحت تصرفاتها من

مقدرات مالية ضخمة، ومن خلال المبتكرات العلمية، والقنوات الفضائية والإذاعية، فكل هذه تمثل الصور الأحدث في تطور الاستشراق ووسائله.

ويكفى أن نعلم أن في أمريكا وحدها ما يزيد على خمسين مركزاً مختصاً بالعالم الإسلامي ، ووظيفة هذه المراكز هي:

- ١- تتبع ورصد كل ما يجرى في العالم الإسلامي من أحداث
  - ٢ ثم دراسته وتحليله مع أصوله التاريخية.
  - ٣- ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار السياسي
- ٤ ومن ثم تبني على أساس ذلك الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية
  والسياسية، وتحدد الوسائل الملائمة لضرب الإسلام"(١).

وبذلك يتضح للقارئ أن الفكر الاستشراقي بوسائله ومؤسساته المختلفة، استطاع أن يؤثر في العقلية الإسلامية تاثيراً ملحوظاً، كما نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية في فرض مفاهيمها وآلياتها على التحقيق والتأليف والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، وانتهت إلى إيجاد وجهات عربية تعبر عنها، ومتبينة لوجهة نظرها، ومدافعة عنها، وإلى التقدم باتجاه الجامعات والمعاهد، ومراكز الدراسات، والإعلام والتربية في العالم الإسلامي، لجعل الفكر الغربي، والنسق الغربي، هو المهيمن، وهو المنهج والمرجع الذي نكون تبعاً له، ونسير خلفه مهرولين.

<sup>(</sup>١) انظر: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي،د/أحمد السايح ص٥٨.



# المبحث السادس منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام

درس المستشرقون الإسلام بكل صوره، عقيدة، وفكراً، ونظاماً، وحضارة، ومصادر، وفلسفة، ولكنهم وقعوا في كثير من الأخطاء العلمية والمنهجية، ومنها ما يلى:

### أولاً: إيمانهم بأفكار مسبقة عن الإسلام:

فقد درسوا الإسلام، وفي أذهانهم فكرة أساسية هي: "أن الإسلام دين باطل، لابد من هدمه والقضاء عليه!".

فترى الواحد منهم يبدأ أبحاثه وأفكاره عن الإسلام بهذا الحكم الذي آمن به مسبقاً، وهذا مخالف لمنهج البحث العلمي السليم، الذي يحتم على الباحث أن يبدأ بحثه وهو خالي الذهن من الأحكام، ثم يصل إلى أحكامه من خلل الأدلة والمقدمات، والبراهين الواقعية.

أما عامة المستشرقين، فكان يضع الفكرة مقدماً ثم يبحث عن أدلة تؤيدها مهما كانت درجتها في الضعف، ولو اضطرهم الأمر إلى اعتماد أسلوب المغالطات والمفتريات.

(وقد أشار المستشرق الفرنسي المنصف (موريس بوكاي) إلى أن معظم الناس في الغرب، قد تربوا على سوء فهم الإسلام والقرآن، حيث حاول المستشرقون غير المنصفين أن يشوهوا صورة القرآن في أعين الناشئة.

يقول بوكاي: "كنت أتعلم عندما كنت شاباً أن محمداً هو الذي ألف القرآن، وقد قيل لي مراراً وتكراراً، إن مؤلف القرآن قد جمع ببساطة، قصصاً من التوراة والإنجيل بشكل مختلف قليلاً!!..، وقال أيضاً: "إنه ظل فترة على هذا الاعتقاد حتى درس الإسلام بنفسه، فاكتشف زيف وتضليل هؤلاء المستشرقين") (١).

<sup>(</sup>١) أوروبا والإسلام، د/ عبد الحليم محمود: ص٦٩، طدار السلام، القاهرة، الثانية، ٩٧٣ ام.



فمن العجيب أن يدرس المستشرقون كل المذاهب والديانات، كالبوذية والبهائية والهندوسية وغيرها بروح العلم والموضوعية والإنصاف، أما الإسلام فتختل موازينهم في دراسته وإنصافه!.

#### ثانياً: اعتمادهم على المادر المشبوهة:

فالباحث المنصف حين يدرس أي عقيدة من العقائد، أو فكرة من الأفكار، لابد له من دراستها من خلال مصادرها الأصلية، ولا يصح دراستها من خلال مصادر الأعداء، أو المصادر المشبوهة أو الثانوية، ولكن المستشرقين في دراستهم للإسلام، (اعتمدوا على كتب مدسوسة على الإسلام، مليئة بالإسرائيليات والغرائب والخرافات، ومن خلال ذلك يولدون ما يشاءون من النصوص التي تتفق مع أغراضهم، ويتصيدون الشبهات، ولا يعتمدوا إلا ما يوافق هواهم من كل خبر ضعيف، ورأي شاذٍ مردود، وقول ساقط لا سند له من عقل أو نقل صحيح.

وبات ذلك واضحاً من تركيزهم على إحياء المذاهب الهدامة، والإشادة بالفرق الضالة التي تعادي الإسلام، كالبهائية، والبابية وغيرها، وإحياء كتب غلاة الرافضة، والإسماعيلية والفاطمية) (١).

#### ثالثًا: جهل معظمهم باللغة العربية:

فكثير من هؤلاء المستشرقين كان لا يعرّف العربية ولا بعض معانيها، أمثال: ("سلفتر دي ساس"، و"أليس غرينان"، و"فمبري"، و"جيرارومتري" وغيرهم...، ومنهم من كان يدعو إلى العامية وهجر اللغة العربية الفصحى، كالمستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون" والذي كان يعمل في قسم الشئون الشرقية بوزارة الخارجية الفرنسية (عام ٢٤٤٤م)، وقد حاول الترويج لدعوته في المغرب العربي ومصر وفي سوريا ولبنان) (٢).

يقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق: "إن هؤلاء لم يأخذوا العلم عن شيوخه وإنما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا فيه توثبا ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج

<sup>(</sup>٢) ينظر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د/ فاروق عمر فوزي، ص٤٢.



<sup>(</sup>١) لمزيد من الإفادة حول هذه المسألة يراجع: أساليب الغزو الفكري: ص٢٦، ٢٦، وكتاب المستشرقون، أ/ نجيب العقيقي: جــ ٣٠، ١٠١١،١٠٠.

على القسس، ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه ؛ وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس فى إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدَس فيه وخمن ؛ فرجح منه المرجوح وفضل المفضول"(١) .

وهكذا أدى بهم الجهل بالعربية إلى الوقوع في أخطاء علمية ومنهجية، والوقوع في سوء الفهم لمعنى النصوص وتفسيرها، وبيان المراد منها.

#### رابعاً: اعتبارهم أن المسلمين هم الإسلام:

فقد حكموا على الإسلام من خلال واقع المسلمين وفرق شاسع وبون واسع، بين حال المسلمين وبين الإسلام، فلا يصح على وجه الإطلاق أن تُتخذ عصور التخلف الطويلة التي عاشها المسلمون دليلاً على قصور الإسلام نفسه،" فالإسلام منهج يُدرس ويُحقق ويُحكم عليه، بغض النظر عن أحوال معتنقيه ونقدهم أو تخلفهم، أما أن نأخذ من تأخر المسلمين دليلاً على ضعف الإسلام وعدم صحته فهذا ما يأباه المنهج العلمي السليم"(٢).

يترتب على ما سبق عدة نتائج:

فإنه ومن أجل هذه الأخطاء المنهجية كانت معظم آرائهم وأفكارهم عن الإسلام تخبط في تخبط، وضلال في ضلال، فمثلاً:

- ١ حين درسوا القرآن الكريم، لم يروا فيه إلا أنه من عند محمد، نقله عن أحبار النهود ورهبان النصارى.
- ٢ حين درسوا السنة النبوية لم يروا فيها إلا أنها موضوعة من الصحابة والتابعين.
- ٣- حين درسوا الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي، لم يروا فيهما إلا أنهما مأخوذان من القانون الروماني.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق: ص٥٥.



<sup>(</sup>١) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د/فاروق عمر فوزي: ص٤٤.

- ٤ حين درسوا الفلسفة الإسلامية، لم يروا فيها إلا أنها الفلسفة اليونانية منقولة بلغة عربية .
- حين درسوا اللغة العربية، لم يروا فيها إلا أنها لغة ميتة لا تساير الحياة ولا تواكب التطور.
- وهكذا نظروا إلى الإسلام وما يتصل به، بعين السُّخط التي لا ترى إلا العيوب والمساوئ:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة .. ولكن عين السُّخط تبدي المساوءا

فقد أعماهم الحقد، ونوايا السوء، ونزغات العداء للإسلام والمسلمين، عن الوصول إلى الحق، والاعتراف به.

- \* وبعد عرض هذه الحقائق، فهل يُخشى الآن على الإسلام من المستشرقين وفكرهم المُعادى له؟
- مما لا شك فيه أنه لا يخشى على الإسلام من المستشرقين وأفكارهم، لـو أنهم اتبعوا المنهج العلمي السليم (١)، لأن من اتبع هذا المنهج، انتهى به الأمـر إلى الارتماء في أحضان الإسلام.

وجديرٌ أن نذكر من هؤلاء الذين انتهى بهم البحث إلى الإسلام:

(روجيه جارودي) الذي ترك النصرانية، ثـم بحـث فـي الإسـلام بحثـاً موضوعياً، فاعتنق الإسلام، وكان إسلامه صدمة لكل الدوائر المعادية للإسلام من الشيوعية إلى الصليبية واليهودية.

ومن قبله سار في نفس الطريق: "ليبويلد فاس" الذي سمى نفسه "محمد أسد"، وعالمة الذرة الأمريكية "كريستينا"، والفيلسوف الفرنسي "أتين رينيه"، والشاعر الألماني "جوته"، و"رينيه جينو"، و"فلوري"، والدكتور "جرينييه" (٢) ... وغيرهم.

<sup>(</sup>٢) ينظر : أساليب الغزو الفكري، ص٤٨.



<sup>(</sup>١) أما عند اتباع المستشرقين لمنهج التضليل والتلفيق، فهنا يعظم خطرهم في الصد عن الإسلام والكيد له، وإبعاد المسلمين عنه.

فهؤلاء درسوا الإسلام بمنهج علمي سليم، فأنصفوه، وآمنوا به واعتنقوه، وهذا الصنف من المستشرقين، هم الذين سيأتي الحديث عنهم مفصلاً، في الصفحات التالية، كي نوفيهم حقهم من الإنصاف والتقدير، كما أنصفوا الإسلام والمسلمين.

# المبحث السابع نماذج من المستشرقين المعتدلين

أشرت سلفاً (١) إلى أن المستشرقين في غالب دراساتهم وكتاباتهم حـول الإسلام حاولوا جاهدين تشويه وتوهين العقيدة في نفوس أبنائه، والحق أنهم لـم يكونوا في ذلك فئة واحدة، وإنما كانوا فئات مختلفة تتراوح بين التعصب والاعتدال، والإنصاف يقتضي تناول طائفة من المستشرقين المعتدلين الذين أنصفوا في فكرهم الإسلام والمسلمين واتسمت أبحاثهم بالحيدة والنزاهة العلمية، بل إن منهم من انتهى به البحث الحر النزيه إلى اعتناق الإسلام.

و قبل أن نعرض لهؤلاء المنصفين، لابد أن نشير أولاً إلى ان المستشرقين انقسموا إلى أصناف مختلفة:

(أولاً: صنف من المتغطرسين والمرتزقة، الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم لخدمة المصالح الغربية والأهداف الاستعمارية، وهؤلاء - كما أسلفنا القول - أعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقداً وعداوة وطعناً في الإسلام، والدعوة الإسلامية، أمثال "جورج سيل ويوسف شاحت"، و"كراج" و"وبدويل" و"شيلدون آموس" وغيرهم.

ثانياً: صنف آخر تعرض للإسلام، باسم البحث العلمي الحر ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب "فراحوا يشوهون الثوابت الإسلامية، ويلتمسون نقاط الضعف فيها، ويشككون في صحة الرسالة الإسلامية، وفي التوحيد الإسلامي، وفي الشريعة، وفي القرآن من حيث مصدره أو نصه، وفي الحديث النبوي من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي، وفي قدرة اللغة العربية على الثبات والتطور ... إلخ (٢)

و من أمثال هؤلاء: "جولد تسيهر" و"رودي بارت" و"جاستون فيبت" و"ريتشارد بل" و"بلاشير" ... إلخ.

<sup>(</sup>٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري ص ٩٠، ٩١ بتصرف يسير.



<sup>(</sup>١) ينظر: ظاهرة العداء للإسلام في فكر المستشرقين، ص ١٩ من هذا البحث.

ثالثاً: وهناك صنف ثالث، أنصف الإسلام والمسلمين والترم في فكره ودراسته وأبحاثه عن الإسلام بالحيدة والموضوعية، والاعتدال، وقد انتهى الأمر ببعضهم - كما سبق - بالإيمان والدخول في الإسلام، وهؤلاء هم الذين يعنينا الحديث عنهم الآن، حتى نوفيهم حقهم من التقدير والإعجاب، ومن أمثال هؤلاء: "رينان"، و"تولستوي" و"موريس بوكاي"، و"روجيه جارودي"، و"كارلايل" و"بوركهات" و"دينيه"، و"فيلبي"، والشاعر الألماني "جوتيه" والدكتور "جرينيه"...

ويمكن تقسيم هؤلاء المنصفين إلى قسمين:

القسم الأول: أنصف الإسلام، ولكنه لم يدخل فيه، ولم يدن به قولاً وعملاً، بل ظل على ديانته القديمة، وهؤلاء كانت لهم كتابات وأبحاث قيمة عن الإسلام ونبيه، وتاريخه وخلفائه، وفرقه، وعلومه وآدابه، وفنونه، وكثيراً ما دافعوا عن الإسلام وأيدوه، وصححوا أخطاء غيرهم من المستشرقين المغرضين، لأن غايتهم من دراسة التراث العربي والإسلامي، كانت علمية محمودة تهدف إلى الوصول إلى الحقائق، دون قصد التجريح أو التشويه.

(ومن هؤلاء: (رينان، وموريس بوكاي، والمستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" صاحبة كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب"، وتوماس كارليل، وفوت كريمير، وتولستوي، ويوهان رايسكه، وجوستاف لبون)، وهذا الأخير قد ألف كتاب "حضارة الإسلام"، وترجمه الأستاذ/ عادل زعيتر – ويعد الكتاب شهادة حقة لحضارة الإسلام وفضلها على أوروبا، والعالم أجمع في ماضيه وحاضره".

وأما "رينان" فقد انتهى به بحثه عن المسيح الكليّ إلى إثبات أنه لم يكن إلها ولا ابن إله، وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامي، والروح الكريمة، وأن السيرة العربية للنبي محمد على كسيرة ابن هشام، لها ميزة تاريخية أكبر من تلك الأتاجيل المتداولة بين النصارى) (١).

<sup>(</sup>١) انظر: أساليب الغزو الفكري: ص٢٨.



و "توماس كارليل" قد عد محمداً في الأبطال، وخصه بصفحات كثيرة من كتابه "الأبطال"، وفي هذا الكتاب نراه يقول: "من العار أن يصغى أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وأن محمداً لم يكن على حق، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، وما الرسالة التي أداها محمد الا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، وذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "(۱).

هكذا يشهد "كارلايل" لرسالة الإسلام، وفضلها على العالم أجمع، ويـورد أخطاء غيره من المستشرقين، وهي شهادة حق، تمثل اتجاهاً معتدلاً للمستشرقين المنصفين، ومحاولات جادة منهم لفهم الإسلام، وقد نظر هذا الاتجاه إلى الإسلام نظرة موضوعية محايدة، فيها شيء من الإنصاف والتعاطف مع الإسلام.

(وأما (تولستوي): وهو من أكبر كتاب روسيا، فإنه لما رأى الحملة الظالمة على الإسلام ورسوله كتب رأيه معرباً عن الإعجباب بالإسلام، وتحدث عن المسيحية فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهية المسيح، وخلص إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها، والكنيسة زادت تعاليم المسيح في العقيدة غموضاً...، ويقول: ":إنّ المسيحيّين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحي الإلهيّ، فالمسلمون يعتقدون بنبوّة موسى وعيسى، ولكنّهم يعتقدون كما اعتقد، بأنّه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانتين (اليهودية والنصرانية)، وهم يعتقدون بأنّ محمدا خاتم الأنبياء، وأنّه قد أوضح في قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقيّة، كما قالاها دون زيادة ولا نقص") (١) وينتهى بالحديث عن رسول الله محمد هي حديث الإجلال والتعظيم.

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق: ص ٦١.



<sup>(</sup>١) راجع : أوروبا والإسلام، د/ عبد الحليم محمود، ص٥٥.

و كان مما قاله تولستوي أيضاً في فضل النبي هذا "لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمته برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلم وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا، ويكفيه فخرًا أنه فتح لها طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أُوتي قوة وحكمة وعلمًا... ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام"(۱). وقد كان جزاؤه على كلمة الحق التي قالها أن حرمه البابا من الرحمة.

ومن هؤلاء أيضاً: المستشرق الألماني "يوهان رايسكه" الذي كان واحداً من عباقرة العربية في عصره، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا، ولكن معاصريه تجاهلوه وحارب رجال اللاهوت،واتهموه بالزندقة، وذلك يرجع إلى موقفه الإيجابي من الإسلام، فقد امتدح الدين الإسلامي في كتاب له باللاتينية، ورفض وصف النبي بالكذب أو التضليل، أو وصف دينه بأنه خرافات مضحكة -كما كان ذلك سائداً حينذاك — ووضع العالم الإسلامي في قلب التاريخ العالمي، وفوق ذلك عبر عن آرائه بأعظم قدر من الصراحة، غير مكترث بكل العواقب المترتبة على ذلك، وفد جر عليه ذلك ويلات كثيرة، وعاش طول حياته في ضائقة مالية، ومات بائسا مسلولاً وهو في الثامنة والخمسين من عمره" (۱).

وهكذا سنحت الفرصة أمام هؤلاء المعتدلين، لإنصاف الإسلام والحضارة الإسلامية - رغم العنت الذي لاقوه من رجال الكنيسة - وظهرت لهم بعض المؤلفات العامة التي استطاعت أن تقف في وجه الظلم والطغيان الذي لقيه الإسلام في الغرب.

وتعد هذه الأمثلة المشار إليها أمثلة رائدة في الاعتدال، والاتجاه نحو الفهم الصحيح للإسلام.

<sup>(</sup>٢) الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٤٤.



<sup>(</sup>۱) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات، المستشار/ محمد عزت إسماعيل الطهطاوي: ص٥٩، طدار الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢م.

ومع ذلك يمكن القول: إن هذه الفئة من المستشرقين رغم إخلاصها في البحث والدراسة وحبها للإسلام ودفاعها عنه، إلا أنها لا تسلم من الأخطاء؛ إما لعدم الفهم، أو للجهل بأساليب اللغة العربية، وعدم معرفة المراد من معانيها المختلفة التي تجعلها غير واضحة المعنى أو المدلول، أو لجهلهم بطبيعة وواقع الأجواء الإسلامية، فحكموا عليها من خلال فهمهم لمجتمعاتهم، وبالتالي تكون الاستنتاجات بعيدة عن الحق والصواب، من غير قصد منهم، أو تعسف في الحكم والاستنتاج السليم.

وعلى أية حال: فإن هذا القسم من المستشرفين كان غرضهم طيب، وغاياتهم محمودة، فهم طلاب حق، إذ سرعان ما يرجعون عن آرائهم إذا ما تبين لهم الحق، ويرجى لهؤلاء الهداية، وأن يدفعهم البحث النزيه إلى اعتناق الإسلام والدخول في حظيرة الإيمان.

القسم الثانى: من أنصف الإسلام، واهتدى به البحث إلى اعتناقه والدخول فيه، وهذه الطائفة أسلمت، ودافعت عن الإسلام ونبيه، وصاروا من طلاب الدعوة إليه، لأنهم روأ فيه الخلاص والعلاج لشتى الأمراض الفردية والاجتماعية.

(ومن بين هؤلاء: "إتين رينيه" الذي تسمى بعد إسلامه باسم (ناصر الدين)، واللورد هيدلى ورينيه جينو، والشاعر الألمانى الشهير جوتيه، وبوركهارت، وكرنكوف، وزونستين، وفلورى، وشينستر؛ وفيلبي والدكتور جرينيه، وهذا الأخير كان عضواً فى مجلس النواب الفرنسى وقد سئل عن سبب إسلامه فقال: "إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية، والصحية، والطبيعية، والتى درستها من صغرى وأعلمها جيداً، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمداً أتى بالحق الصراح من قبل أكثر من ألف سنة، ومن قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات

القرآنية المرتبطة بما تعلَّم جيداً كما قارنت أيضاً، لأسلم بلا شك إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض) (١).

أما المستشرق الفرنسى أتين رينيه: فقد عاش فى الجزائر، وخالط المسلمين هناك وأعجب بأحوالهم وعاداتهم، فأحب الإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم "تاصر الدين رينيه"، وقد توفى فى فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن فيها(٢).

وكذلك المستشرق "رينيه جينو" الذي عاش في فرنسا وينتمي لأسرة كاثوليكية ثرية محافظة، (وقد نشأ مرهف الحس والوجدان، متجها إلى البحث والتفكير العميق، وهاله ما عليه قومه من فساد وضلال، فأخذ يبحث في جد عن الحقيقة، يقول الدكتور/ عبدالحليم محمود عن سبب إسلامه: وكان سبب إسلامه بسيطاً منطقياً في آن واحد، لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد بعد دراسة عميقة سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل، لأن الله تكفل بحفظه، وحفظه حقيقة واضحة { إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذّير وَإنّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر: ٩)

لم يجد "جينو" سوى القرآن نصاً صحيحاً، فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب الفرقان، إنه المعروف بالشيخ "عبد الواحد يحيي) (٣).

وقد حاربته الكنيسة، وحرمت قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم - لأنها رأت فيه خطراً كبيراً على سلطانها فحرمت حتى الحديث عنه.

ومن خلال ما سبق عرضه يتبين للقارئ أن المستشرقين في تناولهم للإسلام، ليسوا سواء، فمنهم من أخطأ وأصاب، ومنهم من اتصف بالجحود

<sup>(</sup>٣) ينظر: أزمة العالم المعاصر، رينيه جينو، من المقدمة، ص١٠، ١١.، ط المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.



<sup>(</sup>١) أوروبا والإسلام، د/ عبد الحليم محمود، ص٥٦.

<sup>(</sup>٢) انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د/ مصطفى السباعي، ص٢٤، ٢٥، ط المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

والنكران وحاول جاهداً إظهار الإسلام في صورة مشوهة، ومنهم من كان معتدلاً وتعرض للإسلام دون أن يقصد الطعن فيه، وإنما درسه دراسته لكتبه الدينية، فأنصفه واعترف بفضله حين تبين له الحق وإن لم يسلم أو يدين بالإسلام، وهناك من اعتنق الإسلام وآمن به ورأى في هذا الدين النجاة والخلاص، فنظر إلى الإسلام على أنه دين سماوي، ختم الله به الرسالات السماوية، وأن محمداً الإسلام على أنه دين سماوي، ختم الله به الرسالات السماوية، وأن محمداً من خاتم النبيين، وأن القرآن الكريم وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهؤلاء لن نطيل الحديث عنهم في هذا البحث، لأن هذا التحول منهم إلى الإسلام، يعنى في الوقت نفسه التحول عن الخط الاستشراقي.

### ضرورة الحوار مع المستشرقين المعتدلين

ذكرت أن طائفة من المستشرقين عُرفت بالاعتدال، واتسمت أبحاثها عن الإسلام والمسلمين بالحياد والموضوعية والمنهج العلمي الصحيح، وهؤلاء من المفيد جداً الحوار معهم، والاستفادة منهم، وذلك بأن يكون للهيئات العلمية والجامعية، والمؤسسات الإسلامية، صلات قوية بهم تهدف إلى مؤازرتهم، وعقد لقاءات وندوات تجمع بينهم وبين العلماء المسلمين.

يقول الدكتور/ محمود زقزوق مؤكدا على أهمية هذا الحوار وفوائده:

"وليس هناك شك في أن مثل هذا الحوار سيكون له أثره الإيجابي على كلا الجانبين، فمن ناحية سيكون دعماً لمواقف هؤلاء المستشرقين وتقوية لجانبهم وتشجيعاً لاتجاهاتهم، بهدف أن تصبح هذه الاتجاهات المعتدلة في يوم من الأيام تياراً عاماً في الغرب يكون له تأثيره الفعال في تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام في العالم الغربي .

ومن ناحية أخرى سيكون من نتائج هذا الحوار ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية سلبية والتخفيف من حدة اندفاعهم وتقليدهم لهذه الأفكار، وإعادتهم إلى المواقف الإسلامية الصحيحة .

ومن جهة ثالثة: يضاف إلى ذلك محاولة التقرب من هؤلاء وإقناعهم بالدخول في الإسلام، أسوة بزملائهم الذين دانوا بالإسلام واعتنقوا مبادئه السمحة" (١) .

وبعد هذا العرض: فسوف أكتفي بهذا القدر من الحديث عن المستشرقين المعتدلين، إذ إن الدراسة هنا لا تعني بهذه الطائفة التي اعتدلت أو التي أسلمت ودافعت عن الإسلام ونبيه، وإنما تعنى بالطائفة التي أساءت للإسلام وحاولت إظهاره في صورة مشوهة، ومن ثم وجب التعرض لهؤلاء، والتصدي لشبههم ومفترياتهم حول الإسلام، وهذا ما سيتضح لنا من خلال الصفحات القادمة.

<sup>(</sup>١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: ص١٨٢.



## المبحث الثامن دوافع الفكر الاستشراقي وأهدافه

سبقت الإشارة في بداية هذه الدراسة إلى مفهوم الاستشراق وتاريخه، ومغالطاته حول الإسلام وثوابته، وهنا تجدر الإشارة إلى الأسباب والدوافع التي جعلت المستشرقين يهتمون بدراسة العالم الإسلامي وتاريخه، وحضارته وعقائده ولغاته، فقد أذهل الأوربيون سر قوة الإسلام وتمكنه، وانتشاره السريع في شتى ربوع قارات العالم، مما جعلهم يتوجسون خيفة، أو يتوقعون أن دين المستقبل في القارة الأوروبية إنما هو الإسلام، فالإسلام – من وجهة نظرهم – قوة لا يستهان بها، وله قدرة عجيبة على الانتشار والقبول لدى العامة والخاصة، ولذا فلا بد من تحجيمه، ومحاولة توقفه وإعاقة تقدمه، والتعرف على سر قوته وتفوقه، فأعد المستشرقون أنفسهم خدمة لهذا الغرض، وكان من وراء ذلك عدة دوافع وأهداف تختلف باختلاف الأزمنة والعصور التاريخية، منها الدينية والاستعمارية والعلمية والتجارية، وهذا إلى جانب الميول الفردية، وسوف ألقى الضوء سريعاً على هذه الدوافع، واتبع ذلك بذكر الأهداف:

## أولا: الدافع الديني:

ويعتبر هذا الدافع من أهم الدوافع والأسباب التي دفعت بالمستشرقين إلى دراسة الدين الإسلامي وتعلم لغاته، ويستطيع كل باحث أن يلمس هذه الحقيقة في سهولة ويسر، وقد بدأ هذا الدافع مع الاستشراق منذ بدايته، واستمر إلى يومنا هذا.

(فقد اندفع المستشرقون إلى دراسة اللغة العربية والإسلام مدفوعين بدوافع الانتصار للنصرانية أو اليهودية، والرغبة في تنصير المسلمين أو إبقائهم على الأقل بعيدين عن العقيدة الإسلامية، فاتجهوا للطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه بغية إقناع جماهيرهم الني تخضع لزعامتهم الدينية، بأن دين الإسلام لا يستحق الذيوع والانتشار، وبأن المسلمين قوم همج يحبون سفك الدماء، ويحثهم دينهم على الشهوات ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

ومن أجل هدا الدافع الديني فقد عمل المستشرقون على ما يلى:



- (أ) الوقوف فى وجه الإسلام وتشويه سمعته بالبحث عن نقاط الضعف فيه، لتوهين العقيدة فى نفوس المسلمين، والتشكيك فى تراثه، وكل ما يتصل به من علم وأدب للحط من قدر الإسلام وتاريخه ونبيه .
- (ب) العمل من خلال الافتراءات والمزاعم المشبوهة على حماية النصارى من الدخول في الإسلام والاقتناع به، وذلك بعدم إطلاع النصارى على حقيقة الإسلام، أو الاستسلام والانقياد لمبادئه وتعاليمه.
- (ج) محاولة تنصير المسلمين، وإخراجهم من دينهم، فإن أمكن تنصيرهم فذاك هو الطلب، وإلا فعلى الأقل تشوية العقيدة في نفوسهم، وإبقائهم كمن لا دين لهم، وهذا يعنى أن المستشرقين عادة ما يقومون بصنع الافتراءات وبث الشبهات، وما على المبشرين إلا أن يقوموا بحملها إلى عقل وقلب المسلم بوسائلهم وطرائقهم المتعددة، مما يؤدي إلى تنفير المسلمين من دينهم، وحملهم على كراهيته.

وكان الفكر الاستشراقي يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق غايتين:

الأولى: انتزاع مقومات الفكر الإسلامي، وصهره في بوتقة الثقافة الغربية.

الثانية: محاولة إسقاط النفوذ الإسلامي وتطويقه حتى لا ينتشر في أماكن أخرى من العالم.

#### ثانيا: الدافع الاستعماري:

فلقد كان هدف الغرب هو الاستيلاء على بلدان العالم الإسلامي والسيطرة عليها، وبالتالى نهب ثرواتها واستغلال خيراتها، وكان من دوافع ذلك تشبيع المستشرقين ودفعهم إلى دراسة أحوال العالم الإسلامي، والعمل على إضعاف مواطن القوة فيه، وإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية حتى يسهل لقوى الغرب الاستعمارية امتلاكه والسيطرة عليه، وهذا يفسر لنا مدى التآزر والتعاون بين الاستشراق والاستعمار، فالاستشراق يمهد للاستعمار ويوطد له، وعادة ما يكون الاستشراق في خدمة الاستعمار وأعوانه.

"ومن أجل هذا كان من دوافع الدراسات الاستشراقية الرغبة في إضعاف روح المقاومة في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم وعقائدهم



لعلمهم يأن أشد ما يخشاه الغرب الاستعمارى هو الإسلام وقوته وانتشاره، فهو الوحيد من بين سائر الأديان والمذاهب الذى باسطتاعته أن يقف وجهاً لوجه ضد الاستعمار، ويصد أطماعه في السيطرة على العالم سياسياً وحضارياً وفكرياً). (١)

ولذلك تلقف الاستعمار الحركة الاستشراقية، وساندها، ودعهما بالمال والنفوذ، وعتبر المستشرقين هم طلائعه ودعاته، الذين يبثون الأفكار، ويثيرون الخلافات، ويقومون بالتجسس على أحوال البلاد، وكتابة التقارير عنها، ولذلك نلاحظ أن كثيراً من هؤلاء المستشرقين كانوا سياسيين ينفذون رغبات هذا الاستعمار.

## ثالثاً: الدافع السياسي:

يرتبط الدافع السياسى كثيراً بالدافع الاستعمارى والتجارى، والذى يظهر أثره فى حرص الغرب على استغلال موارد الشرق الإسلامى، والسيطرة على ثرواته.

(ولذلك دفع الغرب بهؤلاء المستشرفين ليقوموا بمهمات سياسية متعددة مرتبطة بالشعوب والبلدان الإسلامية، وهذه المهمات تتمثل فيما يلى:

- أ- الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم.
- ب- دراسة دين وآداب البلاد المستعمرة ليعرف المستعمرون كيف يسوسون هذه البلاد ويحكمونها.
  - ج- الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم .
- د- بث الاتجاهات السياسية والفكرية التي تريدها دولهم فيمن يريدون بثها فيهم وإقناعهم بها.
- ه— الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل الشعوب الإسلامية) (٢) .

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق: ص٥٣٥



<sup>(</sup>١) انظر: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د/ محمد البهي، ص٥٣٣، ط دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

ومن أجل ذلك تركزت أعمال كثير من المستشرفين في إيجاد نوع من التخاذل والضعف والشعور بالنقص بين أبناء الشرق الإسلامي، وضرورة التمسك بسياسة بلاد الغرب، وأن الدين وإن ظل في الصورة فليس له بعد من دور إلا في الصف الثاني أو على الهامش السياسي، وما نراه الآن في العالم الإسلامي من ضعف وانقسام ما هو إلا نتيجة هذا الدافع السياسي الذي يرمى في غاياته إلى إضعاف العالم الإسلامي وجعله يدور في فلك الغرب ويسير في ركابه.

## رابعاً: الدافع العلمي:

فقد اهتم المستشرقون – كما سبق – كثيراً بالدراسات الإسلامية، وأقبل بعضهم على الاستشراق بدافع من حب العلم والمعرفة، ورغبة في تحصيل المعلومات عن الشرق الإسلامي، وعلومه وكتبه وحضارته ولغاته وثقافته، والكشف عما فيها من كنوز ثمينة.

و على هذا: فهدف هذا الدافع العلمي هو معرفة كنوز الشرق الإسلامي، وما فيه من علم وحضارة. وتحصيل معرفة صحيحة، تتصل بأمة ذات رقي وحضارة أصيلة.

ومع ذلك يمكن القول: (بأن هؤلاء مع إخلاصهم في العلم وتجردهم في البحث والدراسة إلا أن بعضهم لا يسلم من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق "إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالواقع الإسلامي والأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها) (١).

وهذا ما أدى بهم - كما ذكرت - إلى الوقوع في الأخطاء، والانحراف عن المنهج العلمي، وهذا - للأسف - هو طابع الكثير من الدراسات الاستشراقية، حول الإسلام، وتاريخه، الأمر الذي يجعلنا - نحن المسلمين - نقف منها موقف الحذر، ويتوجب علينا متابعة هذه الدراسات وإظهار ما فيها من تشويه وانحراف.

<sup>(</sup>١) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص٥٥.



## خامساً: الدافع التجارى:

فقد اهتم الغرب خاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بتوسيع تجارته، والحصول من بلاد الشرق على المواد الخام اللازمة لصناعته والتي كانت في طريقها للازدهار، فحرص على استغلال موارد الشرق وإضعاف نشاطه التجاري والصناعي ونهب ثرواته، لتكون هذه البلاد سوقاً رابحة لبضاعته، وتجارته، ومن أجل هذا وجد الغرب أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والدفع بنفر من المستشرقين للتعرف على أحوال هذه البلاد التجارية والاقتصادية، ودراسة جغرافيتها، ومواردها الطبيعية والزراعية والبشرية، حكتى يحسنوا التعامل مع أحوال تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير والنفع.

ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات في الغرب يغدقون على هولاء الباحثين بالأموال اللازمة، كما كانت الحكومات الغربية تمنحهم الرعاية والحماية، حتى تتمكن من إخضاع المسلمين، والسيطرة عليهم في المجال الاقتصادي، فترتبط بلاد الإسلام في تجارتها واقتصادها بالغرب وتوجهاته، وتدور في فلكه.

وإلى جانب ما سبق فإن بعض المرتزقة من المستشرقين، كان يقصد من دراساته الربح المادي، من خلال طبع ونشر علوم المسلمين ومخطوطاتهم، وإن كان هؤلاء فئة قليلة لا تُذكر)(١).

وبعد بيان هذه الدوافع، أذكر هنا جانباً من أهداف الاستشراق وغاياته التي يرمى إليها.

وهذه بعض النقاط الهامة التي توضح هذه الأهداف أجملها فيما يلى:

١- (تأييد الغزو الاستعماريّ لبلاد المسلمين، والعمل لتحطيم المقاومة الإسلامية، بتأويل الجهاد، وصرف أنظار المسلمين إلى الدعة، والقعود عن الجهاد في سبيل الله، ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد، وتسميتها بالجهاد الأكبر.

<sup>(</sup>١) فلسفة الاستشراق وأثرها في العربي المعاصر، ٥٣٥



- ٧- فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفرديّ والاجتماعيّ والنفسيّ، أمام الاستعمار وثقافته وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين، وزعزعة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحيّ طريقًا إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباع للغرب)(١).
- ٣- التشكيك في رسالة النبي الخاتم القصورها، وهذه الغاية التي عمل من أجلها كثيراً من المستشرقين تخدم الواقع الديني والسياسي عندهم، (فلقد ذهب كثير منهم، (١) إلى أن القرآن الكريم اختراع محمدي، نسبه محمد إلى الله، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى نفي العصمة والقداسة عن الوحي الإلهي، والزعم بوضعيته وبشريته شأنه في ذلك شأن غيره من الديانات المحرفة.

وقد استطاع الكاتب البريطاني "توماس كار لايل" الرد على هذا اللزعم وتفنيده...، وبنى رده على أساس أن الإسلام لو كان ديناً كاذباً لما استطاع أن يعيش طيلة هذه القرون، تعتنقه كل هذه الملايين، وكذلك على أساس أن محمدا لم يحاول، وهو في حرارة الشباب، أن يحدث ضجة جريا وراء الشهرة بل عاش مع زوجته عيشة هينة) (٣)

وأيضاً عمل المستشرقون على التشكيك في صحة الحديث النبوي، المصدر الثاني للتشريع، لتمزيق وحدة المصدر الإلهي، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماء الحديث في الحفاظ عليه من خلال قواعد بالغة الدقة، في التثبت والتحرى والضبط، بطريقة لم يعهدوها في كتبهم التي تسمى بالمقدسة!!

٤ - كان من غايات الاستشراق وأهدافه أيضاً: تشكيك المسلمين في قيمة تراثهم
 الفكري والحضاري، بعد التشكيك في مصدري الرسالة - القرآن والحديث -

<sup>(</sup>٣) : كتاب الأبطال، توماس كار لايل: ٧٣/٢، ترجمة محمد السباعي، سلسلة كتاب الهالال، القاهرة، ١٩٧٨م.



<sup>(</sup>١) الإسلام في وجه التغريب، أ/ أنور الجندي: ص٣٧٠.

<sup>(</sup>٢) من هؤلاء المستشرق المتعصبين "براديه"، و «جورج سيل»، و "يوسف شاخت»، و "بـــدويل»، و "شيلدوت أموس»، و «جاستون فييت» و غير هم.

وذلك بدعوى أن الشريعة الإسلامية منقولة عن القانون الروماني، وأن العرب مجرد نقلة.

والصواب الذي كشف عنه العلماء، أن هناك فروقاً عميقة بين الشريعة الإسلامية، والقانون الروماني، أبرزها: أن الشريعة لم تفرق في أحكامها بين مطالب الروح والجسد، ولم تهمل أحدهما على حساب الآخر، وأنها وحي إلهي، وأن الفقه الإسلامي قُسِّم على أساس العبادات والمعاملات والعقوبات (۱)، بينما القانون الروماني مستمد من كلام البشر الوضعي، ونظرة الإنسان الضيقة التي يعتريها الخطأ والنقصان.

- ٥- كان الاستشراق يهدف من وراء أعماله: إلى إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم، عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات بين شعوبهم كي لا تتوحد كلمتهم، ومن ثم يمكن السيطرة عليهم، واستغلال مواردهم، وتحريكهم حيث أراد الغرب، وهذا ما يهدف إليه المستشرقون المساندون للهيمنة الغربية على بلاد الإسلام، ويعملون على تحقيقه.
- 7- وبالإضافة إلى ما سبق: فقد كان الهدف الرئيسي من إنشاء المؤسسات الاستشراقية، "هو تزويد المنصرين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كي يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية من مدارس، ومعاهد، وجامعات، ليعيثوا فيها فساداً، ويبثوا ما يريدون من أفكار وتعاليم، بجانب تصيدهم لأبناء الدول الإسلامية وإلحاقهم بهذه المؤسسات، والإشراف على تعليمهم وتوجيههم " (٢)

فالاستشراق ولا شك، كان هو الزاد الفكري، والمنجم الذي يمد المنصرين والمستعمرين وأدوات الغزو الفكري، بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلام،

<sup>(</sup>٢) الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د/ أحمد السايح: ص٥٥.



<sup>(</sup>١) يراجع في ذلك ما كتبه الدكتور/ محمد حميد الله، ونقله أ/ أنور الجندي في كتابه: الإسلام في وجه التغريب: ص٣٥٥.

لتحطيم عقيدته، وتخريب أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية والتاريخية، وكل ما يتصل به من علم وأدب وتراث.

ونستخلص من دراسة ما سبق: أن الفكر الاستشراقي كان دوماً يمهد السبيل للمبشرين ويمثل الطلائع لهم، وذلك لتشكيك المسلمين في عقائدهم، والطعن في الإسلام ونبيه ، بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم البحث العلمي، والاستنتاج والتحليل، كما مهد هذا الفكر للاستعمار وأعوانه، فكانت نتائج دعواهم وفكرهم، هي بث روح الفرقة بين البلاد الإسلامية، ونشر العصبية والقومية والقبلية، وهي دعوات لا تخدم إلا مصالح الغرب، ولا تورث إلا الضعف والانحلال.

\*والحقيقة التي يجب أن يعيها الجميع هي: أن الاستشراق وأعوانه، إنما يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته، فالاستشراق في حد ذاته – كما أكد الدكتور "زقزوق"(۱) كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته، وينهض من عجزه، ويُلقى عن كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري، يومها سيجد الاستشراق نفسه في دائرة مغلقة، وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه لافي الغرب، ولا في العالم الإسلامي نفسه.

<sup>(</sup>١) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق: ص١٦٣٠.



# المبحث التاسع آثار الفكر الاستشراقي على العالم الإسلامي

ترك الفكر الاستشراقي آثاراً سلبية على العالم الإسلامي سواء في الناحية العلمية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية، وكان هذا الفكر وراء التحولات الخطيرة التي حدثت في العالم الإسلامي أو المجتمعات الإسلامية، وما عاق انتشار الإسلام وتقدمه، وأثقل خطواته في كثير من الجهات إلا المخطط الصليبي الاستعماري، والفكر الاستشراقي الوافد.

وتبدو خطورة الفكر الاستشراقي في آثاره السيئة التي فرضها المستشرقون على مناهج التعليم، والثقافة والفكر في العالم الإسلامي، وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الاتباع لترديد مفترياتهم على الإسلام، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها، وترسيخها في الأذهان.

وتتضح آثار الفكر الاستشراقي الخطيرة على العالم الإسلامي فيما يلي: (أولاً: حاول الاستشراق تشويه الإسلام ورسالته وتاريخه، والافتراء على النبي النبي ألله ، وفرض مفاهيمه الخاطئة حول ذلك كله، وأراد بهذه الأعمال أن يضرب ستاراً كثيفاً من التعتيم والتشويه بين المثقف الأوروبي وبين الإسلام، للحيلولة دون الدخول فيه أو الاقتناع به، وهذا هو الهدف الأساسي الذي بسببه تطورت أساليب المستشرقين لمواجهة المستجدات على الساحة المعاصرة.

ولا يخفى على عاقل أن الاستشراق أداة تبشيرية، تعمل لخدمة التبشير في تشويه الإسلام كما تعمل لخدمة السياسة الاستعمارية في الشرق، وقد يلتقى هذا مع ذاك إذا دعت الضرورة لذلك، ومن ثم كان هناك العون المستمر بين المستشرقين والمبشرين وبين الحكومات والهيئات الغربية المختلفة، والتي ترتبط مصالحها بمصالح العالم الإسلامي والعربي.

و يؤيد هذه الوجه أ /نجيب العقيقي في تحليله لمقاصد المستشرقين فيقول: القد استهدف الاستشراق في نشأته الأولى خدمة الكنيسة والاستعمار...، وما



نشهده بين الحين والحين من التواء في أساليبهم، واضطراب مناهجهم في سوق الأخبار، واعتسافهم في تأويلها بغية استخلاص نتائج سامة تمس ديننا وتاريخنا.

و تعاونت الكنيسة مع ملوك أوروبا على شد أزر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم، ونصفها الأول سياسي ونصفها الثاني تبشيري تعصبي) (١).

وإلى جانب ذلك، فقد أحدث هذا الاستشراق غزواً فكرياً أصاب المسلمين في دينهم وعقيدتهم، (فحوَّل الكثير منهم إلى مسخ آدمي لا يحمل من الإسلام إلا اسمه، كما جعلهم يقلدون الغرب النصراني في عاداته وتقاليده، وثقافته وفكره، ونظمه وقوانينه، ومن هنا كسب اليهود معركتهم مع المسلمين، حين أفلح هذا الغزو في زحزحتهم عن دينهم، وتمييع قيمه ومُثله وأحكامه.

ثانياً :كان الاستشراق وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولاً خطيراً في المجتمع الإسلامي في العصر الحديث وكان الفكر الاستشراقي وراء هذا التحول، فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة ثم يتبعهم الكتاب والمفكرون الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية والتغريب والوطنية الزائفة، فيروجون لهذه الدعوات)(٢)، ولذا فإنه ومن أجل إحداث هذا التحول الخطير في المجتمعات الإسلامية، قام الاستشراق يعاونه في ذلك الاستعمار بالعمل على الآتي:

- أ) إشعال الثورات والفتن والقلاقل والاضطرابات، وإنفاق الأموال الطائلة في هذا السبيل لتوهين الشعوب الإسلامية، وبث روح العداء فيما بينها، وبذلك يضعف الإسلام.
- ب) إيجاد جيل من دعاة التغريب :داخل الشعوب الإسلامية، يعمل على تفريخ أجيال علمانية، تكون بعيدة كل البعد عن الإسلام وتعاليمه، وتتحدث بلسانهم وتنفذ تعاليمهم في معالجة القضايا على أساس مادي بعيداً عن الإسلام وروحه، وتحاول إبعاد الدين وأمور العقيدة عن مخططات السياسة، وأمور

<sup>(</sup>٢) أساليب الغزو الفكري،د/ علي جريشة ص ٢١



<sup>(</sup>١) المستشرقون، د/ نجيب العقيقى: ١١٥٦/١، ١١٥٧، بتصرف.

المجتمع، ومن أمثال هؤلاء الدعاة العملاء :جورج زيدان، وفرح أنطوان، وطه حسين، وأمين الخولي، وتوفيق الحكيم، وكثير من الصحفيين في العالم الإسلامي.

ج) الدعوة إلى العامية، وإبعاد اللغة العربية ما أمكن، هذه الدعوة التي بدأها نفر من المستشرقين، ثم تابعهم في ذلك بعض الكتاب من أهل التبعية، أمثال: سلامة موسى، وأحمد لطفى السيد، وزكي نجيب محمود.

نعم، لقد أدرك الفكر الاستشراقي أن القضاء على وحدة المسلمين لا يمكن أن يتم ما دامت هناك لغة واحدة تجمعهم، وتربط ماضيهم بحاضرهم، وحين تترك الأمة لغتها، أو يتم إضعافها، يصبح من السهل عليها أن تندمج في أي حضارة، وتتأثر بأي ثقافة.

لهذا حاول المستشرقون القضاء على اللغة العربية أو إضعافها، وإحلال العامية محلها، بدعوى أن لغة القرآن لا تساير احتياجات العصر، ولذلك يجب على المسلمين أن يهجروها، ويتحدثوا باللغة العامية، بحيث تصبح هي الشائعة" (١)

ومن أسف، أن هذه الأفكار الخبيثة قد راجت في مصر وغيرها من البلاد العربية.

" -كما تبنى الاستشراق وأذياله من أهل التبعية، الدعوة إلى الإقليمية والقومية الضيقة، كالفرعونية، والفينقية، والطورانية، والفارسية، بدأ هذه الدعوات المستشرق" فمبري"، و"كرومر"، وتابعهما "طه حسين" و"لطفى السيد "وغيرهما، مما كان له آثار وخيمة، وانقسام وتفتت للعالمين العربي والإسلامي"(٢).

د) العمل على الانسلاخ من الدين والانحراف عنه من خلال دعوى حرية وسائل الإعلام والصحافة، ودور النشر، وذلك بنشر الروايات الهابطة التي تركز

<sup>(</sup>٢) المرجع السابق، ص٢٣.



<sup>(</sup>١) لمزيد من الإيضاح، يراجع: أساليب الغزو الفكري، د/ على جريشة، ص٢٣.

على الجنس وتشعل الغريزة، وتدعو إلى إطلاق عنان الشهوات، وإشاعة الاختلاط، وإباحة ما سمى بالأدب المكشوف من خلل الصور الفاضحة، والمجلات الخليعة، والأغاني الماجنة، والموسيقى الصاخبة إلى غير ذلك من الأمور التى أحدثت ميوعة وانحلال بين الشباب المسلم.

- هـ) التركيز على المرأة والاهتمام بشئونها بعيداً عن الدين وأخلاقه، فالمرأة فاكهة محببة في الأحاديث، والدخول من ناحيتها أقرب طريق لغزو الدين، ومن هنا اهتم الاستشراق بالمرأة وإفسادها على بيتها وزوجها، وتريين الخروج لها، وانشغالها بالعمل على حساب الأسرة، وحين تتخلى المرأة عن دورها ومكانتها الطبيعية، تكون الطامة الكبرى والأثر السيء على تربيلة الأجيال وصناعة الرجال.
- و) صرف المسلمين عن الاتجاهات العلمية التجريبية إلى الأدبية والنظرية: حتى يظل العالم الإسلامي بعيداً عن أسباب التقدم العلمي، فترجم المستشرقون وأذنابهم من العرب، كتب الآداب والاجتماع والفلسفة، وعلم النفس، وكتب الإلحاد والتحلل الفكري...، أما المجالات العلمية التجريبية، فلم تهتم بها دوائر الاستشراق، لأنه ليس من مصلحتهم أن يتقدم العالم الإسلامي علمياً.
- ن) العمل على إعلان حرية العقل ضد سيادة الدين في الشعوب الإسلامية وذلك من خلال إنشاء المدارس والجامعات المدنية البعيدة عن تعاليم الإسلام، بحجة أن حرية البحث العلمي تقتضي إبعاد ما هو موروث من عقائد الدين.

ومعروف أن هذه الأعمال والأفكار والتي قام بها المستشرقون قد أحدثت تغيرات خطيرة في المجتمعات الإسلامية، ترتب عليها عزل المسلمين وإبعادهم عن حقيقة دينهم ومبادئه السمحة.

(ثالثاً: يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها، فهم ينقلون من كتب الأدب، ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتابه (الحيوان)



ويكذبون ما يرويه الإمام مالك في (الموطأ)، وذلك لإحداث البلبلة الفكرية في العالم الإسلامي، وتشويه تاريخه. (١)

رابعاً: يحرص المستشرقون على الإشادة بشأن الفرق الضالة، وأصحاب المداهب الهدامة التي تعادي الإسلام – فهم مثلاً – يعملون على إحياء التراث الفرعوني، أو الباطني المجوسي، والغنوصي القديم، مستهدفين بذلك تحطيم أصالة الفكر الإسلامي.

ويبدو هذا واضحاً في تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم، وخاصة ما يتصل بالإلحاد والإباحية وما يتصل بوحدة الوجود، والحلول والاتحاد والمجون... أمثال شعر بشار بن برد، وأبي نواس، وكتب الحلاج وابن عربي، وكتب غلاة الرافضة والإسماعيلية والفاطمية) (٢).

كما عملوا على بعث الخلافات بين السنة والشيعة، وسائر المذاهب الإسلامية، لتمزيق الأمة وتفريقها، وما دام العالم الإسلامي ممزقاً إلى عشرات المذاهب والدعوات، فإنه يستحيل أن يتقدم أو تتوحد جهوده، وهذا ما يقوم الفكر الاستشراقي بتنفيذه فعلياً وعلى أرض الواقع.

خامساً: فإن من أخطر آثار الفكر الاستشراقي: اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك، (وخاصة في الجامعات والمعاهد العليا، أو في دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا، الذين يقعون دائماً تحت سيطرة فكر المستشرقين والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين، ثم يعودون إلى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي، ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد أو التطوير، وحرية البحث، ويرددون فكر المستشرقين أنفسهم، وذلك كما فعل طه حسين، حين ادعى في كتابه "الشعر الجاهلي" أن الإسلام دين محلي لا عالمي، وأنه قد تأثر باليهودية، وهو بذلك يردد أفكار المستشرق الإنجليزي "جب"، ويتفق مع ما جاء في كتابه المسمى "المذهب المحمدي")، (٣) وكما فعل أ/ أمين الخولى،

<sup>(</sup>٣) ينظر: المستشرقون، أ/ نجيب العقيقي: ٣/١٠١٠.



<sup>(</sup>١) لمزيد من الإيضاح، يراجع: أساليب الغزو الفكري، د/ على جريشة، ص٢٣.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق: ص٢٦.

حين ادعى أن القصص القرآني لا يتفق مع الواقع التاريخي، وأنه يدل على جهل الرسول بالتاريخ، تماماً كما يردد الفكر الاستشراقي لهذه المزاعم ويروج لها.

وقد عمل المستشرقون أيضاً على نشر الموسوعات العلمية (دوائر المعارف والقواميس) لتكون مراجع سهلة للباحثين، وملؤها بكثير من السموم والمغالطات والشبهات في حق التاريخ الإسلامي والعلم والمعرفة، مثل:

- دائرة المعارف الإسلامية.
- المنجد في اللغة والعلوم والآداب.
- الموسوعة العربية الميسرة .. وغيرها، "وقد سبقت الإشارة إلى هذه المراجع". ولهذا ينبغي على من يرد الرجوع إلى هذه المصادر أن يكون على حنر تام، وأن يتنبه لما بين سطورها من مغالطات أو تشويه أو تحريف في النقل، على أن روح مؤلفيها في الحقد على الإسلام لا تخفى على المطالع الحصيف.

سادساً: عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، وإحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها، تحت اسم الحضارة أو العولمة، أو وحدة الثقافة والفكر البشري والإخاء الإنساني، وما إلى ذلك من مسميات (ويرى كثيرون أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما: الاستعمار والتبشير، وأنه ما زال يعمل من أجل هذا الغرض الذي ولد من أجله، وإن غير أساليبه وجلده مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة) (۱).

وكان من آثار ذلك كله على العالم العربي والإسلامي الشتات والضياع وتمزيق الوحدة العربية والإسلامية، وتحطيم العزائم، وطمس المعالم، وتعمية الطريق، لضمان السيطرة والخضوع، والحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره.

سابعاً: تشويه الجهاد في الإسلام والصد عنه:

إن كلمة "الجهاد" تمثل هاجساً مفزعاً لأعداء الإسلام، (ولذا حرم المستعمرون الفرنسيون في الجزائر تدريس الجهاد في آيات القرآن الكريم أو في أبواب الفقه الإسلامي، وحذت حذوهم بريطانيا في كثير من مستعمراتها.

وسيراً على خطى الأعداء، فقد قام الفكر الاستشراقي، بحملة زور عنيفة على الجهاد في الإسلام، فوصفوا المسلمين بالتعصب، وأن الإسلام لا يعرف حرية

<sup>(</sup>١) الإسلام في وجه التغريب، أ/ أنور الجندي، ص٢٦٥.



الفكر ولا حرية العقيدة، وأنه لم ينتشر إلا بحد السيف، وأن المسلمين ما خرجوا من الصحراء إلا بدافع الجوع وحب التوسع (1)، وهكذا ظلوا ينفرون من الجهاد في سبيل الله، حتى بدأ بعض المفكرين المسلمين يصورون الجهاد في الإسلام بغير حقيقته (7).

ويكفى أن نعرّف أن عدد القتلى والجرحى في الحرب العالمية الأولى بلغ (واحد وعشرين مليون نسمة) وفي الحرب العالمية الثانية (خمسين مليوناً) من القتلى والجرحى، ناهيك عن الآلاف المؤلفة في الحروب والثورات المعاصرة.

ومع ذلك يدَّعون: أن الإسلام دين السيف والقهر وينشرون هذه الفرية، ويلحون في تأكيدها، حتى تضيع شريعة الجهاد، وبذلك يمرحون ويسرحون كما يشاءون في العالم الإسلامي.

والنتيجة التي يخلص إليها القارئ من ذلك: أن خطورة الفكر الاستشراقي وآثاره على العالم الإسلامي، تمثلت في إعطاء صورة مشوهة للإسلام، ولكثير من المفاهيم الإسلامية، يلمسها المرء في جميع ما كتبه المغرضون من مستشرقي أوربا وغيرهم، وفي كل أمر يتجه إليه الفكر الاستشراقي نحو الإسلام، إذ إن الدافع الرئيسي له، ليس البحث العلمي الخالص والوصول إلى الحقيقة، وإنما البحث المغرض الذي يحاول تشويهها، بباعث من التعصب الأعمى يعود إلى النزعة العدوانية الحاقدة، والتي دفعت الأوروبيين قديماً إلى الحروب الصليبية.

<sup>(</sup>٢) فعل ذلك الشيخ/ على عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) حين ادعى أن شريعة الجهاد من خصائص الزعامة النبوية، وهي موقوتة بوقتها وظروفها، ولذا فقد انتهي أمر الجهاد بوفاة صاحب الزعامة، وحذا حذوه نفر من المفكرين المسلمين، حتى أصبحت لفظة الجهاد غير مستساغة لدى بعض الساسة والمثقفين المسلمين، ينظر: المرجع السابق: ص٥٤٧.



<sup>(</sup>١) ينظر في ذلك: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د/ فاروق عمر فوزي: ص٨٦.

## المبحث العاشر التصدي للفكر الاستشراقي ومواجهته

إن التيارات الفكري المعادية للإسلام، والمتمثلة في الاستشراق والتبشير، وغير ذلك من ألوان الغزو الوافد، لن تهدأ أو تتوقف في صراعها مع الإسلام ورسوله

وإذا كانت هذه التيارات تمثل تحدياً سافراً للإسلام وفكره الأصيل، فإن الواجب على المسلمين صدها ومواجهتها، والوقوف أمامها بقوة وصلابة.

بل يتحتم على المسلمين في كل الأقطار الإسلامية وخاصة أهل الرأي والمثقفين منهم أن يضعوا المقترحات والخطط المدروسة التي تقع موقع التنفيذ، والتي يقوم عليها مواجهة الفكر الاستشراقي والتصدي له.

( وعلى الدول الإسلامية الغنية رصد الأموال الكافية لقيام حركة مضادة للفكر الاستشراقي، يقوم عليها علماء الدول الإسلامية ومفكريها وتعتمد على أمرين:

الأول: يتمثل في قيام علماء الإسلام بالكتابة حول الموضوعات العلمية التي يقدِّمون من خلالها للعالم الغربي المعلومات الصحيحة عن الإسلام، ويوضحون للناس المشكلات المدسوسة عليهم، والتي أثارها المستشرقون، حتى يكونوا على بينة من الأمر.

الثاني: يتمثل في قيام مفكري الإسلام باستعراض مؤلفات المستشرقين ودراستها وتحليلها وتفنيدها ودحضها والرد عليها، في ضوء الحقيقة والواقع، حتى ينكشف الغطاء عن مثالبهم ومغالطاتهم تجاه الإسلام وعلومه) (١).

كما يجب على كل مثقف من المسلمين، أن يضع دراسات المستشرقين في طليعة بحوثه، بل في الصف الأول من فكره وشواغله "العقلية".

هذا وقد عرض كثير من المفكرين المسلمين خططاً مفصلة لمواجهة الفكر الاستشراقي والتصدي له، ومن ذلك:

<sup>(</sup>١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د محمود زقزوق ص١٦١٠.



الخطة التي وضعها المؤتمر الإسلامي العالمي لتوجيه الدعاة، والمنعقد بالمدينة المنورة عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

والخطة التي وضعها الدكتور/ محمد الذهبي، رحمه الله، والتي تتلخص في الآتى:

- ١ قيام المؤتمر الإسلامي العالمي بالمساهمة في تنقية الحياة العربية والإسلامية من رواسب الفكر الاستشراقي، وذلك بإبعاد عملائه وأذنابه من حياة التوجيه في العالم الإسلامي.
- ٢- إعادة تقويم القيم الإسلامية في نفوس المسلمين بعد أن زعزعها الاستشراق.
- ٣- أن تكون هناك مكاتب اتصال ملحقة بسفاراتنا في الخارج، لتتبع كتابات المستشرقين والمبشرين وموافاتنا بها أولاً بأول)

ومنها الخطة التي اقترحها الدكتور/ محمود حمدي زقزوق لمواجهة الفكر الاستشراقي ومما جاء فيها:

- ١- إنشاء موسوعة إسلامية وعربية للرد على شبه المستشرقين حول الإسلام،
  وقد حدد رحمه الله لهذه الموسوعة المنهج العلمي الواجب اتباعه في إعدادها(٢).
- ٧- إنشاء مؤسسة إسلامية علمية عالمية، تقوم على شئون العالم الإسلامي، وتنشر مطبوعاتها بلغات مختلفة، وتعمل على نشر الدعوة، وحماية ودعم العلماء المسلمين، وتكون بعيدة عن الانتماءات السياسية والحزبية، ويكون ولاؤها لله أولاً وأخيراً.
- ٣- إنشاء دائرة معارف إسلامية جديدة، تعرض حقائق الإسلام عرضاً واضحاً،
  وتنفى عنه تزييف وتشويه دائرة المعارف التي كتبها المستشرقون.

<sup>(</sup>٢) يراجع: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود زقروق، ص١٦٢،



<sup>(</sup>١) يراجع كتابه: المبشرون والمستشرقون: ص١٩٧، ط دار الشروق، ط الثانية، ١٩٨٦م.

- ٤ وضع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم باللغات الحية، وكذلك كتب السنة لتكون في متناول غير المسلمين، الذين يريدون فهم الإسلام من منابعة الأصلية، فقد ترجم الأعداء هذه المصادر ترجمة مشوهة مملوءة بالأخطاء.
- و- إنشاء جهاز عالمي للدعوة الإسلامية، يهتم بالدعوة إلى الإسلام، ويرعى المسلمين الجدد، ويحمى المسلمين بالوراثة.
- ٦- تنقية التراث الإسلامي من الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة والدخيلة، وإبراز الصورة الإسلامية المشرقة الحقة بكل وسيلة من وسائل النشر والإعلام والتنوير العام.
- ٧- الحضور الإسلامي في الغرب؛ لمحاولة اقتحام مجالات طريق الاتفاقيات الثقافية،
  وبذلك يمكن بالتدرج تصحيح التصورات الغربية عن الإسلام.
- ٨- الحوار مع المستشرقين، وخاصة المعتدلين منهم، بهدف تصحيح الصورة الخاطئة
  عن الإسلام في العالم الغربي، وترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بالأفكار
  الاستشراقية السلبية، أو المقلدين لها.
- 9- إنشاء وكالة أنباء إسلامية، تستطيع أن تكون هي المصدر الذي يستقى منه الغرب معلوماته عن العالم الإسلامي وليس العكس، فنحن الآن نستقى معلوماتنا عن العالم الإسلامي من وكالات الأنباء الغربية، والتي في غالب أحوالها لا تتحرى الموضوعية والأمانة في عرضها لأخبار العالم الإسلامي، بل تحاول تشويهه وإعطاء صورة غير صحيحة عنه) (١).

هذه هي بعض الخطط والمقترحات التي وضعها مفكرو الإسلام لمواجهة الفكر الاستشراقي والتصدي له، وقد قاموا بواجبهم في هذا الصدد، وبقي على الحكومات الإسلامية، والجهات المعنية والتي تمتلك عناصر الإعداد والتمويل، بقى عليهم استشعار عظم المسئولية، والقيام بواجبهم، وتوفر إرادة التنفيذ لديهم، نُصرة لدين الإسلام والذب عنه، وهو أمر ميسور لو خلصت النية، وصدقت العزيمة، وصح القصد.

<sup>(</sup>١) يراجع: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود زقروق، -1770



((والله من وراء القصد والهادي إلي سوآء السبيل))

## الخاتمة

وبعد أن انتهيت من هذه الدراسة،التي تناولت فيها الفكر الاستشراقي-آثاره ودوافعه وكيفية مواجهته،يمكن في خاتمة هذا البحث المتواضع أن أُوجيز أهم النتائج التي توصلت إليها،وهي كما يلي: -

أولاً: لم يكن الفكر الاستشراقي واحداً في طبيعته وميوله وأهدافه، فقد اختلف المستشرقون حول مفاهيم الإسلام وعلومه،ما بين منصف وجاحد،وما بين باحث عن الحقيقة، ومتعصب تعصب أعمى تجاه الإسلام والحضارة الإسلامية.

ثانيا: اعتاد الكثير من المستشرقين في بحوثهم، علي بث الشبهات والمغالطات حول الإسلام وتاريخه وشريعته، وحول القرآن الكريم ولغته، والحديث الشريف، والفقه الإسلامي......، وغلب على الفكر الإستشراقي إظهار الروح العدائية تجاه الإسلام وعلومه ومقدساته .

ثالثا: كان الاستشراق هو الزاد الفكري ،الذي يمد المنصرين والمستعمرين وأصحاب الغزو الفكري،بالمواد والمفاهيم التي يُسوقونها في العالم الإسلامي،لتحطيم عقيدته،وتخريب فكره،والقضاء على شخصيته الحضارية والتاريخية ـ

رابعاً: درس المستشرقون الإسلام وفي أذهانهم، فكرة أساسية مسبقة وهي: (أن الإسلام دين باطل، لابد من هدمه والقضاء عليه!) وهذا العداء للإسلام أوقعهم في أخطاء ومغالطات علمية ومنهجية، تخالف أسس البحث العلمي وموازينه، ومن ذلك: تحكيمهم للهوى، والتعصب الأعمى ضد كل ما هو إسلامي، وتضخيم الأخطاء الصغري، ومحاولة طمس معالم التاريخ الإسلامي، وتصيد الشبهات، واعتماد ما يوافق هواهم من كل خبر ضعيف وقول ساقط، لا سند له من عقل أو نقل صحيح، والاعتماد علي الفروض الوهمية المجردة...، وكل هذه الأمور تخالف في مجملها أسس البحث العلمي وموازينه.



خامساً: كانت أحكام كثير من المستشرقين علي الإسلام من خلال واقع المسلمين أنفسهم، باعتبارهم أن المسلمين هم الإسلام، وفرق شاسع بين حال المسلمين وبين الإسلام، فلا يصح أبدا أن تُتخذ عصور تخلف المسلمين، دليلا علي قصور الإسلام نفسه، فالإسلام دين يُدرس ويُحكم عليه بصرف النظر عن أحوال معتنقيه وتقدمهم أو تأخرهم ومن أجل هذا كانت معظم آراء الفكر الاستشراقي عن الإسلام ضلال في ضلال، وضرب من الخيال المريض، فنظروا إلي الإسلام من منظار أسود، وبعين السخط التي لا تري إلا المساوئ والعيوب والعيوب

سادسا: سلك الفكر الاستشراقي طُرقا عديدة للوصول إلى أغراضه وتحقيق أهدافه،ومن ذلك: التدريس في الجامعات،وجمع وتحقيق المخطوطات،والنشر والترجمة،ولكن أخطر وسائلهم كانت هي التأليف،حيث ألف المستشرقون الكثير من الكتب التي تطعن في الإسلام، وتشوه حقائقه التاريخية والدينية،وقد روجوا لها وجعلوها المصادر الأساسية لمن يكتب في الإسلام. سابعا: لم يكن معظم المستشرقين يوما ينصفون الحقيقة العلمية للعلم،بل كانت أبحاثهم مرسومة بصورة واضحة من أسس عقائدهم ومقاصدهم الخبيثة التي بثوها في ساحة الفكر الإسلامي.

ثامنا: كان للفكر الاستشراقي بعض الآثار المفيدة والتي تمثلت في إحياء المخطوطات العربية، وطبع الكثير من كتب التراث الإسلامي، وتحقيقه ونشره، أو ترجمته إلي اللغات الأجنبية، إلا أن الآثار السلبية لهذا الفكر كانت أخطر ما يكون علي المسلمين، ومن ذلك: الغزو الفكري الذي أصاب دينهم وعقيدتهم، وتفريخ بعض دعاة التغريب الذين كانوا أبواقاً لأفكار الغرب، وإضعاف اللغة العربية ، وتشويه معنى الجهاد، وغير ذلك من الآثار التي أدت الى تمزيق العالم الإسلامي فكريا، وتمييع قيمه ومُثله وأحكامه.

تاسعا: كان من أهداف حركة الاستشراق خدمة مخططات اليهود لإضعاف الإسلام، والتمكين لهم في فلسطين، عن طريق تشويه التاريخ العام، وإثبات



فضل اليهود على الإسلام،ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً،ثم دولة ثانياً .

عاشرا: اهتم الفكر الاستشراقي بشأن المرأة المسلمة، ووجه عناية كبرى لإفسادها، عن طريق دعوات تحريرها، وانطلاقها للعمل علي حساب بيتها وأسرتها، ونيل حقوقها وحريتها...، وأثار العديد من الشبهات والمفتريات حول أحكام الإسلام الخاصة بالمرأة المسلمة، وتبع المستشرقون في ذلك بعض المتغربين والنفعيين والأجراء من أبناء المسلمين .

حادي عشر: يعتمد المستشرقون في تحقيق أهدافهم وتمويلها، على ما تقوم به المؤسسات الدينية والسياسية والتجارية في الغرب، حيث كان ملوك أوربا وأمريكا يحبسون أوقافا ومنحاً ويُغدقون الأموال لهذه الأعمال .

ثاني عشر: إن الواجب يُحتم علي الأمة الإسلامية،ممثلة في علمائها ومفكريها،التصدي للفكر الاستشراقي ومواجهته بكآفة السبل والوسائل،ووضع دراسات المستشرقين في طليعة بحوثهم،كما أن الواجب يحتم علي الدول الإسلامية الغنية وحكوماتها،القيام بواجبها حيال الفكر الاستشراقي والتصدي له،واستشعار عظم المسئولية في ذلك،نصرة لدين الله،والذب عنه ضد المضللين والمحرفين وأعداء الدين

وأخيراً: فإن الفكر الاستشراقي يستمد زاده وقوته من ضعفنا وتأخرنا، ويوم أن يقوى العالم الإسلامي ويترابط، ويعود إلى دينه، يومها لن يجد هذا الفكر الجمهور الذي سيخاطبه لا في أوربا ولا في العالم الإسلامي نفسه.

## ولالله من وراء القصر ....

دكتور سيد حسين فراج محمد



# قائمة بأهم المراجع

### أولاً: القرآن الكريم

#### ثانياً: مراجع متنوعة:

- ١٠. الأبطال، توماس كارلايل، ترجمة محمد السباعي، سلسلة كتاب الهلال،
  القاهرة، ٩٧٨م.
- ٢. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط دار القلم،
  ٢٠ ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- ٣. أساليب الغزو الفكري، د/ على جريشة، ومحمد شريف الزيبق، طدار
  الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨م.
  - ٤. أعداء الإسلامية، د/ نجيب الكيلاني، طدار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧م.
- أزمة العالم المعاصر، رينيه جينو، ط المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م
- آوروبا والإسلام، د/ عبد الحليم محمود، ط دار السلام، القاهرة، الثانية،
  ١٩٧٣م.
- ٧. الاستشراق والتاريخ الإسلامي، د/ فاروق عمر فوزي، طبيروت، الأولى،
  ٩٩٨م.
- ٨. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د/ مصطفى السباعي، ط
  المكتب الإسلامي، بيروت، ٩٨٥م.
- ٩. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق،
  ط دار المنار الأولي ١٩٨٩م.
  - ١٠. الإسلام والحضارة الغربية، د/ محمد محمد حسين، ط دار الفرقان، بدون.
- 11. الإسلام والغزو الفكري، دراسة لمخططات المبشرين والمستشرقين، أ.د/ فوزى عبد العظيم رسلان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
- 1 . الإسلام والمستشرقون، للشيخ أبو الحسن الندوي، من مجلة المنهل، العدد ٧١.



- 17. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د/ أحمد عبد الرحيم السايح، ط الدار المصرية للطباعة، ٩٩٨.
- 11. الإسلام والآخر، د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣.
- ه ١. الإسلام في وجه التغريب، أ/ أنور الجندي، بتصرف، ط دار الاعتصام، القاهرة، ٩٧٩م.
- 17. التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، د/ مصطفى خالدي و عمر فروخ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٧م.
- 11. التبشير والاستشراق أحقاد وحملات، المستشار/ محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، طدار الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢م.
- 11. الغزو الفكري و التيارات المعادية للإسلام، د/ عبد الستار فــتح الله ســعيد، طبعة دار الفكر، ١٩٨٢م.
- 19. الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شاتليه ، نقلها إلى العربية/ محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ، القاهرة، ٢٠٠ه.
- ٠٢٠ الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د/ محمد البهي، طدار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- ۲۱. المبشرون والمستشرقون، د/ محمد البهي، طدار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ۱۹۸٦م.
- ٢٢. المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د/ على حسني الخربوطلي، ط دار الشروق ١٩٨١م.
  - ٣٣. المستشرقون للأستاذ/ نجيب العقيقي، ط دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- 37. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طشركة الإعلانات الشرقية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- ٥٢. الموسوعة الميسرة في المذاهب و الأحرزاب المعاصرة، د/ مانع حماد الجهني، طدار الندوة، ١٤٢٠هـ
  - ٢٦. جذور البلاء، أ/ عبد الله التل، طدار الفكري العربي، القاهرة، ١٩٧١م.



- ٧٧. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، د/ سامي الصغار، مجلة المنهل، عدد ٤٧٣.
- ٢٨. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د/ أحمد سما بلوفتش،
  إصدار الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢٩. في جولة مع المستشرقين، د/ عبد الخالق أبو رابية، طدار الشروق،
  ١٩٨٦م.
  - ٣٠. لسان العرب، لابن منظور، ط الأولى، دار صادر بيروت.
- ٣١. مخططات الاستشراق والتبشير، أ/ أنور الجندي، طدار النشر والتوزيع،
  القاهرة، ٩٧٦م.
- ٣٢. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، الأولى، ط دار الشروق، ١٤٠٣هـــ- ١٩٨٣.
- ٣٣. معركة التبشير والإسلام، د/ عبد الجليل شلبي، طدار القلم، بيروت، ٩٩٤.

# قائمة المحتويات

٤	٣	٨	٥	تصدير
٤	٣	٨	٦	المقدمة
٤	٣	٨	٩	المبحث الأول: التعريف بالاستشراق وبيان معناه
٤	٣	٨	٩	أولاً: مفهوم الاستشراق في اللغة:
٤	٣	٨	٩	ثانياً: مفهوم الاستشراق في الاصطلاح:
٤	٣	٩	•	ثالثاً: من هم المستشرقون؟
٤	٣	٩	١	رابعاً: هدف الغربيين من إطلاق لفظ الاستشراق :
٤	٣	٩	٤	المبحث الثاني: بداية الاستشراق وتطوره
٤	٣	٩	٨	المبحث الثالث: ازدهار عصر الاستشراق واتجاهه نحو العداء للإسلام
				اتجاه الاستشراق نحو البحث العلمي:
٤	٣	٩	٩	كتابات المستشرقين لم تلتزم الإنصاف:
٤	٤	٠	٠	أولاً: إن الاستشراق يحمل الروح العدائية عادة في دراسته للإسلام:
٤	٤	٠	١	ثانياً: أن ظاهرة العداء للإسلام واضحة في فكر المستشرقين وكتاباتهم:
٤	٤	٠	٤	ثالثاً: النظر إلى الإسلام وتاريخه نظرة مشبوهة ومغرضة:
٤	٤	٠	٧	المبحث الرابع: إسهام اليهود في الحركة الاستشراقية
٤	٤	١	١	المبحث الخامس: مجالات أنشطة المستشرقين وأعمالهم
٤	٤	١	٧	المبحث السادس: منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام
٤	٤	١	٧	أولاً: إيمانهم بأفكار مسبقة عن الإسلام:
٤	٤	١	٨	ثانياً: اعتمادهم على المصادر المشبوهة:
٤	٤	١	٨	ثالثاً: جهل معظمهم باللغة العربية:
٤	٤	١	٩	رابعاً: اعتبارهم أن المسلمين هم الإسلام:
٤	٤	۲	۲	المبحث السابع: نماذج من المستشرقين المعتدلين
				ضرورة الحوار مع المستشرقين المعتدلين
٤	٤	۲	٩	المبحث الثامن: دوافع الفكر الاستشراقي وأهدافه
٤	٤	۲	٩	أولاً: الدافع الديني:أولاً: الدافع الديني

#### <u>الفكر الاستشراقي</u> دوافعه \_ آثاره \_ مواجهته والتصدى له

#### د/ سید حسین فراج محمد

ثانيا: الدافع الاستعماري:	۳.	٤	٤
ثاثثاً: الدافع السياسي:			
رابعاً: الدافع العلمي: ٢	٣٢	٤	٤
خامساً: الدافع التجاري:	٣٣	٤	٤
المبحث التاسع: آثار الفكر الاستشراقي على العالم الإسلامي ٧	٣٧	٤	٤
المبحث العاشر: التصدي للفكر الاستشراقي ومواجهته ٤	٤٤	٤	٤
الخاتمة	٤٧	٤	٤
قائمة بأهم المراجع	٥,	٤	٤
قائمة المحتويات	٥٣	٤	ź